

دكتور حبيكل ومستر هابيد



الروايات المشهورة



منحة من SIDA

رکتور جیکل
و مسرہا پر



© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة
جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ٢-٥٠-١٤٤٥-٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

دكتور جبيل ومستر هابيد



الروايات المشهورة



تأليف : روبرت لويس ستيفنسن

إعداد : إسماعيل أبو العزائم

رسوم : نسيم ج. نصيف

مكتبة لبنان
بيروت

قِصَّةُ أَلْبَابِ

كَانَ أَلْسَيْدُ أَرِسُونُ الْمُحَامِي رَجُلًا صَارِمَ الْمَلَامِجِ ، لَا تُعْرِفُ آلَايَتِ سَامَةِ طَرِيقِهَا إِلَى وَجْهِهِ ، صَمَوْنَا ، نَادِرًا مَا يَتَحَدَّثُ ، وَلَا يُظْهِرُ مَشَاعِرَهُ إِلَّا فِي حَالَاتٍ قَلِيلَةٍ . كَانَ طَوِيلَ الْقَامَةِ نَحِيلًا ، يَمِيلُ إِلَى السُّمُرَةِ ، ذَا حَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَهَنَّاكَ شَيْءٌ مَا يَجْذِبُكَ إِلَيْهِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ ، أَوْ كَانَ بَيْنَ أَصْدِقَائِهِ الْأَقْرَبِينَ . فَعِنْدَيْدٍ قَدْ تَلَمَّحَ فِي عَيْنَيْهِ مَظَاهِيرَ الْحُبِّ وَالْعَطْفِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُعْبِّرُ عَنْ هَذِهِ الْمَظَاهِيرِ فِي حَدِيثِهِ قَطُّ بَلْ تَلَمَّحُهَا فِي نَظَرَاتِهِ ، وَتَرَاهَا فِي تَصَرُّفَاتِهِ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَسَوْتِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْسُو فِي حُكْمِهِ عَلَى الْآخَرِينَ ، بَلْ يَلْتَمِسُ لَهُمُ الْعُذْرَ . وَإِذَا أَنْحَرَفَ أَحَدٌ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ ، أَوْ وَضَعَ نَفْسَهُ فِي مَوْقِفٍ صَعِبٍ سَارَعَ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ لَا تَأْنِيهِ وَلَوْ مِهَ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُرَدِّدُ عِبَارَةً : « إِنَّ أَبْنَ آدَمَ خَطَاءٌ بِطَبْعِهِ . » لِذَا كَانَ أَرِسُونُ يَهْدُلُ قُصَارَى جَهْدِهِ كَيْ يَحُولَ بَيْنَ مَنْ يَعْرِفُهُمْ وَبَيْنَ وَقُوعِهِمْ فِي الْخَطَا .

كَانَتْ عِلَاقَاتُهُ بِأَصْدِقَائِهِ ثَبَدًا وَكَانَتْهَا ثَقُومٌ عَلَى الْعَطْفِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَامِهَا عَلَى الْمَحَبَّةِ . وَكَانَ أَصْدِقَاؤُهُ يَتَأَلَّفُونَ إِيَّاهُ مِنْ أَقَارِبِهِ أَوْ مِنْ أَشْخَاصٍ كَانَ يَعْرِفُهُمْ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ .

وَهَذَا هُوَ سِرُّ صِدَاقَتِهِ مَعَ أَلْسَيْدِ رِيْتَشَارْدِ إِنْفِيلْدِ مُصَمِّمِ الْأَزْيَاءِ الْمَعْرُوفِ ، وَالَّذِي يُمْتُ لَهُ بِصِلَةِ قَرَابَةٍ بَعِيدَةٍ . وَكَانَ الْكَثِيرُونَ يَتَسَاءَلُونَ فِي دَهْشَةٍ عَنْ

تِلْكَ الصَّلَاةُ الَّتِي تَرْبُطُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ . فَقَدْ لَاحَظَ كُلُّ مَنْ كَانَ يُصَادِفُهُمَا
 اثنَاءَ سَيْرِهِمَا فِي أَيَّامِ الْآحَادِ أَنََّّهُمَا لَمْ يَكُونَا يَتَجَدَّثَانِ قَطُّ . وَكَانَتْ تُبَدُو
 عَلَيْهِمَا عَلَامَاتُ الْفَتْرِ حَتَّى إِنَّهُمَا كَانَا يُرَجَّانِ بِشِدَّةٍ بِمَقْدَمِ صَدِيقٍ يُخْرِجُهُمَا
 مِمَّا هُمَا فِيهِ مِنْ صَمْتٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ هَذَانِ الصَّدِيقَانِ يُخْرِصَانِ كُلَّ
 الْحَرْصِ عَلَى أَنْ يَسْتَمْتِعَا بِنَزَهِتِهِمَا الْأُسْبُوعِيَّةِ . وَكَثِيرًا مَا كَانَا يُفَضِّلَانِهَا عَلَى
 أَيَّةِ مَنَعَةٍ أُخْرَى ، بَلْ يُوجِّلَانِ أَدَاءَ أَيِّ عَمَلٍ قَدْ يَتَعَارَضُ وَقْتُهُ مَعَهَا .

حَدَّثَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآحَادِ أَنْ اتَّجَهَا فِي سَيْرِهِمَا إِلَى شَارِعِ جَانِبِيٍّ
 مُتَفَرِّعٍ مِنْ أَحَدِ شَوَارِعِ لِنَدَنِ الْمُرْدَحِمَةِ . وَكَانَ ذَلِكَ الشَّارِعُ صَغِيرًا هَادِئًا ،
 وَإِنْ كَانَتْ حَرَكَةُ التَّعَامُلِ فِيهِ تَشِيطَةٌ فِي أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ الْأُخْرَى . وَبَدَأَ أَنَّ
 أَصْحَابَ الْمَتَاجِرِ قَدْ لَاقُوا نَجَاحًا وَآزْدِهَارًا ، وَأَنَّهُمْ يَتَطَلَّعونَ إِلَى مُزِيدٍ مِنْ
 النَّجَاحِ وَالْآزْدِهَارِ . فَرَاخُوا يَبْذُلُونَ شَيْئًا مِمَّا يَكْسِبُونَ فِي سَبِيلِ إِظْهَارِ
 مَتَاجِرِهِمْ الْبَرَّاقَةِ الْجَذَابَةِ بِمَظْهَرٍ أَشَدَّ بَرِيقًا وَجَازِيَّةً . وَانْعَكَسَتْ جُهُودُهُمْ
 تِلْكَ عَلَى وَاجِهَاتِ مَتَاجِرِهِمْ فَبَدَتْ جَمِيلَةً جَذَابَةً وَكَانَتْهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ
 الْبَائِعَاتِ الْبَاسِمَاتِ يُشَجِّعْنَ الزَّبَائِنَ كَيْ يُقْبِلُوا عَلَى الشَّرَاءِ . وَحَتَّى فِي أَيَّامِ
 الْآحَادِ ، حِينَ تُعْلَقُ تِلْكَ الْمَتَاجِرُ أَبْوَابُهَا ، وَتُخْلُو مِنَ الزَّبَائِنِ ، يَظَلُّ ذَلِكَ
 الشَّارِعُ مُحْتَفِظًا بِجَمَالِهِ إِذَا قُورِنَ بِالشَّوَارِعِ الْأُخْرَى الْمُجَاوِرَةِ لَهُ . كَانَتْ
 الْمَتَاجِرُ ذَاتَ نَوَافِذٍ نُظْلِفَةِ حَدِيثَةِ الْطَّلَاءِ ، وَأَجْزَاءِ نُحَاسِيَّةٍ مَجْلُوءَةٍ لِامِعَةِ .
 وَكَانَتْ النُّظَافَةُ الْعَامَّةُ وَاضِحَةً بِصُورَةٍ تَجْدِبُ الْمَارِّينَ وَتُبْعُثُ الْإِرْتِيَاحَ فِي
 نَفْسِهِمْ .

يَلْتَقِي بِهَذَا الشَّارِعِ الْجَمِيلِ شَارِعٌ آخَرُ أَقْلٌ اتَّسَاعًا . وَعِنْدَ مُلْتَقَى
 الشَّارِعَيْنِ يَبْزُرُ مَبْنَى قَبِيحِ الْمَنْظَرِ مُكَوَّنٌ مِنْ طَائِفَيْنِ وَيَحُلُو ثَمَامًا مِنَ النُّوَافِدِ ،
 وَبِهِ بَابٌ وَاحِدٌ فَقَطْ فِي الطَّائِقِ الْأَرْضِيِّ يَعْلُوهُ حَائِطٌ مُتَسِيخٌ يَمْتَدُّ حَتَّى سَطْحِ
 الطَّائِقِ الْعُلُويِّ . وَتَبْدُو عَلَى الْمَنْزِلِ كُلِّهِ مَظَاهِرُ الْإِهْمَالِ الطَّوِيلِ ، فَالْبَابُ
 مُشَقَّقٌ مُتَسِيخٌ لَيْسَ بِهِ جَرَسٌ أَوْ سَقَاطَةٌ ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْمُتَسَوِّلُونَ ، وَيَلْعَبُ
 الْأَطْفَالُ عَلَى دَرَجِهِ وَيَخْفِرُونَ بِمُدَاهِمِهِمْ فِي حَائِطِهِ دُونَ أَنْ يَرُدَّعَهُمْ رَادِعٌ .
 وَظَلَّ الْأَمْرُ كَذَلِكَ طَوَالَ عِشْرِينَ سَنَةً دُونَ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ يَنْهَرُهُمْ أَوْ يُصْلِحُ مَا
 أُتْلِفُوهُ .

كَانَ السَّيِّدُ إِنْفِيلِدُ يَسِيرُ مَعَ صَدِيقِهِ الْمُحَامِي بِالْجَانِبِ الْآخَرِ مِنْ هَذَا
 الشَّارِعِ الْكَرْعِيِّ . وَعِنْدَمَا أَصْبَحَا فِي مُوَاجَهَةِ الْكَيْتِ رَفَعَ السَّيِّدُ إِنْفِيلِدُ عَصَاهُ
 وَأَشَارَ إِلَيْهِ قَائِلًا : « أَتَرَى هَذَا الْبَابَ ؟ »

أَجَابَ الْمُحَامِي : « نَعَمْ . »

قَالَ السَّيِّدُ إِنْفِيلِدُ : « إِنَّهُ مُرْتَبِطٌ فِي ذَهْنِي بِقِصَّةٍ فِي غَايَةِ الْعَرَابَةِ . »

سَأَلَهُ السَّيِّدُ أَيْزُونُ : « مَا هَذِهِ الْقِصَّةُ ؟ »

أَجَابَ السَّيِّدُ إِنْفِيلِدُ : « كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِي مِنْ رِحْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ
 بَعِيدٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ صَبَاحِ يَوْمٍ بَارِدٍ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ . وَلَمْ
 يَكُنْ بِالشَّوَارِعِ أَحَدٌ . كَانَتْ خَالِيَةً ثَمَامًا ، لَيْسَ بِهَا إِلَّا صُفُوفٌ مِنَ الْمَصَابِيحِ
 وَرَاءَ صُفُوفٍ . وَفَجَاةً رَأَيْتُ شَخْصَيْنِ : كَانَ أَحَدُهُمَا صَغِيرَ الْجِسْمِ يَتَّبِعُهُ

مُسْرِعًا لِحَوِّ الشَّرِّقِ ، أَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ فَتَاةً صَغِيرَةً فِي حَوَالِي الثَّامِنَةِ مِنَ الْعُمْرِ
تَجْرِي بِأَقْصَى سُرْعَةٍ عِنْدَ نَاصِيَةِ الطَّرِيقِ . وَسَرْعَانِ مَا أَصْطَلَدَتْ بِالرَّجُلِ هُنَا
عِنْدَ مُتَلَقَّى الشَّارِعَيْنِ . رَبَّمَا كَانَ أَصْطِلَدَامُ الْفَتَاةِ الْمُسْرِعَةِ بِالرَّجُلِ أَمْرًا لَا غَرَابَةَ
فِيهِ ، أَمَّا الْفَطْيُحُ فِي الْأَمْرِ فَهُوَ مَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ : لَقَدْ دَاسَ الرَّجُلُ بِهَدْوٍ
غَرِيبٍ عَلَى جِسْمِ الْفَتَاةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ تَرَكَهَا تَصْرُخُ وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ
كَأَنَّهُ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ . إِنْ مُجَرَّدَ رُؤْيَاكَ لِهَذَا الْكَنْظَرِ تُجْعَلُكَ تَقْشَعُرُ مِنْ
هُوْلِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا ، بَلْ كَانَ أَشْبَهَ بِوَخْشٍ لَا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ . لَقَدْ
فَرَعْتُ لِمَا رَأَيْتُ وَصِحْتُ ، وَأُسْرَعْتُ وَرَاءَ الرَّجُلِ حَتَّى لَحِقْتُ بِهِ
وَأَمْسَكْتُهُ ، ثُمَّ عُدْتُ بِهِ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ الْفَتَاةُ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ تَجَمَّعَ
حَوْلَهَا عَدَدٌ مِنْ سَبْعِ عَاشِرٍ صُرَاخًا . أَمَّا الرَّجُلُ فَكَانَ فِي غَايَةِ الْهَدْوِ ، وَلَمْ
يَقُمْ بِأَيِّ مُقَاوِمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ سَدَّدَ إِلَيَّ نَظْرَةً غَاضِبَةً أَقْشَعُرُ لَهَا بَدَنِي . وَكَانَ
الْمُحِيطُونَ بِالْفَتَاةِ هُمْ أَفْرَادُ عَائِلَتِهَا ، وَسَارَعُوا بِطَلَبِ الطَّبِيبِ الَّذِي جَاءَ بَعْدَ
فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ .

« لَمْ تَكُنْ حَالَةَ الْفَتَاةِ سَيِّئَةً ، بَلْ كَانَتْ تُعَانِي مِنَ الْفَرَجِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
آخَرَ - كَمَا قَالَ الطَّبِيبُ - وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا
الْحَدِّ . وَلَكِنْ مَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ غَرِيبًا أَيْضًا . لَقَدْ تَمَلَّكَنِي شُعُورٌ
بِالْحَوْفِ وَالْكَرَاهِيَةِ لِذَلِكَ الرَّجُلِ مِنْذُ الْبِدَايَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ شُعُورُ أَفْرَادِ
عَائِلَةِ الْفَتَاةِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ الْمُسْتَعْرَبِ .

« أَمَّا مَوْقِفُ الطَّبِيبِ فَقَدْ كَانَ مُشِيرًا لِلدَّهْشَةِ . كَانَ ذَلِكَ الطَّبِيبُ رَجُلًا
عَادِيًا يَتَحَدَّثُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ بِلَهْجَةٍ إِنْكُتِلَنْدِيَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ تَقْدِيرُ



عُمرِه . كَانَ . كُلَّمَا نَظَرَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي أُنْسِكَ بِهِ أَرَادَ غَضَبُهُ عَلَيْهِ ، وَبَدَأَ
كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَهُ . وَأَذْرَكَ مَا يَدُورُ فِي ذَهْنِ الطَّيِّبِ ، كَمَا أَذْرَكَ هُوَ مَا
يَدُورُ بِذَهْنِي . وَبِمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِنَا أَنْ نَقْتُلَهُ فَقَدْ هَدَدْنَاهُ بِأَنْ نُشْهَرَهُ بِهِ ،
وَنَفْضَحَهُ ، وَلِنُطْلِعَ سَمْعَتَهُ فِي كَافَةِ أُنْحَاءِ لَنْدَنَ ، مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا .
وَقُلْنَا لَهُ إِنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يُفْقِدُهُ أَصْدِقَاءَهُ وَيَشِينُهُ بَيْنَ النَّاسِ . وَكُنَّا أَثْنَاءَ تَهْدِيدِنَا
لَهُ نَحُولَ بَيْنَ الْنِسَاءِ وَبَيْنَهُ ، فَقَدْ كُنْ غَاضِبَاتٍ صَاحِبَاتٍ يُرَدْنَ لَوْ يَفْتَرِسْنَهُ .

« لَمْ أَرْ طَوَالَ حَيَاتِي مِثْلَ تِلْكَ الْوُجُوهِ الْغَاضِيَةِ تُحِيطُ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ
يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ دُونَ أَكْثَرَاتٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَذْرَكَ أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ
أَيْضًا ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا يَتَحَدَّثَانَا كَمَا لَوْ كَانَ شَيْطَانًا مَارِدًا . وَأَخِيرًا قَالَ :
« إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اسْتِعْلَالَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ فَلَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أُمْنَعَكُمْ . إِنَّ
الْإِنْسَانَ يُحَاوِلُ دَائِمًا تَجَنُّبَ الْفَضِيحَةِ - فَمَا أَلْمَبْلَغُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ مُقَابِلَ
ذَلِكَ ؟ » فَأَخَذْنَا نُسَاوِمُهُ حَتَّى اتَّفَقْنَا مَعَهُ أَنْ يَدْفَعَ مِئَةَ جُنْيَةٍ تَعْوِيضًا لِمَا
حَدَثَ . وَكَانَ يَوَدُّ أَنْ يَرْفُضَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى الشَّرَّ فِي عُيُونِنَا فَقَبِلَ .

« كَانَتْ الْخُطْوَةُ الثَّالِيَةُ هِيَ أَنْ نَحْصُلَ مِنْهُ عَلَى الْمَبْلَغِ الَّذِي اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ ،
فَالِى أَيِّ مَكَانٍ ثَرَاهُ قَدْ أَخَذْنَا ؟ لَقَدْ جَاءَ بِنَا إِلَى هَذَا الْبَيْتِ ذِي الْبَابِ الْقَدِيمِ
الْمُسْتَقْبِقِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِفْتَاحَهُ وَفَتَحَهُ . وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَ بِعَشْرَةِ
جُنْيَتِهَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَبِنَشِيكِ بِالْمَبْلَغِ الْبَاقِي يُصْرَفُ لِأُمِّ حَامِلِهِ . أَمَّا الْكَتَوِّعُ
فَكَانَ بِاسْمِ شَخْصٍ لَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ رَغْمَ أَنَّهُ اسْمُ شَخْصٍ
مَشْهُورٍ وَكَثِيرًا مَا يَرْدُ ذِكْرُهُ فِي الْأَصْحُفِ .

« لَقَدْ كَانَ الْمَبْلُغُ الَّذِي اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ كَبِيرًا ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ التَّوْقِيعُ الَّذِي عَلَى
الْشَّيْكِ صَحِيحًا فَإِنَّ صَاحِبَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ مَبْلَغًا أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ . لِهَذَا قُلْتُ
لِلرَّجُلِ إِنَّ الْمَوْضُوعَ مُحَاطٌ بِالرَّيَّةِ وَالشُّكِّ ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَقُومَ
شَخْصٌ مَا يَفْتَحُ بَابَ بَيْتٍ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ صَبَاحًا ثُمَّ يَخْرُجَ بَعْدَ بُرْهَةٍ وَمَعَهُ
شَيْكٌ بِتَوْقِيعِ شَخْصٍ آخَرَ وَبِمَبْلَغٍ يَقْرُبُ مِنْ مِئَةِ جُنْيَةٍ .

« اسْتَمَعَ الرَّجُلُ إِلَى قَوْلِي بِهَدْوٍ شَدِيدٍ ثُمَّ قَالَ : (لَا تَقْلُقْ . سَوْفَ أَنْفِي
مَعَكَ حَتَّى يَفْتَحَ الْبَنْكُ أَبْوَابَهُ ، ثُمَّ أَصْرِفَ لَكَ الشَّيْكَ بِنَفْسِي .) وَهَكَذَا
ذَهَبْنَا جَمِيعًا إِلَى شَقَّتِي - الطَّبِيبُ وَأَبُو الْفَتَاةِ وَالرَّجُلُ وَأَنَا - وَقَضَيْنَا بَاقِيَ
الْكُلِّ بِهَا . وَفِي الصَّبَاحِ ذَهَبْنَا مَعًا بَعْدَ الْإِفْطَارِ إِلَى الْبَنْكِ ، وَقُمْتُ أَنَا بِتَقْدِيمِ
الشَّيْكِ بِنَفْسِي لِلصَّرَافِ وَقُلْتُ لَهُ إِنَّ أَسْبَابًا كَثِيرَةً تَجْعَلُنِي أَشُكُّ فِي صِحَّةِ
التَّوْقِيعِ . وَلَكِنْ شُكِّي كَانَ بِلاَ أُسَاسٍ فَقَدْ قَالَ الصَّرَافُ إِنَّ التَّوْقِيعَ
صَحِيحٌ . »

قَالَ ابْرُسُون : « يَا لِلْعَجَبِ ! »

قَالَ إِنْفِيلِد : « أَرَأَيْكَ تَشْعُرُ بِنَفْسٍ شُعُورِي . لَا بُدَّ أَنْ فِي الْأَمْرِ شَيْئًا مُرِيًّا ،
إِذْ إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ مِمَّنْ لَا يَلِيقُ بِالشَّرَفَاءِ أَنْ يَتَعَامَلُوا مَعَهُ ، كَانَ شَرِيرًا بِكُلِّ مَا فِي
الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْنَى . أَمَّا صَاحِبُ الشَّيْكِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا فِي غَايَةِ الْإِحْتِرَامِ ،
وَكَانَ مَشْهُورًا أَيْضًا . وَأَعْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يُمَكِّنُ تَلَقُّيَهُمُ بِالْخَيْرِينَ
الطُّبَّيِّينَ . لَا بُدَّ أَنَّهُ شَخْصٌ شَرِيفٌ يَمْتَنِّزُهُ رَجُلٌ شَرِيرٌ مُهَذَّبًا لِإِيَّاهُ بِأَنْ يَكْشِفَ
حِمَاقَاتِهِ الَّتِي أَرْتَكَبَهَا فِي شَبَابِهِ . وَحَتَّى هَذِهِ الشُّبْهَةُ لَا تُكْفِي لِشَرْحِ الْمَوْقِفِ

من كافة جوائبه . » قَالَ ذَلِكَ ثُمَّ صَمَتَ مُفَكِّرًا فِيمَا حَدَّثَ .

فَجَاءَهُ سَأَلُهُ أَتِرْسُونُ : « هَلْ يَعِيشُ صَاحِبُ الشَّيْكِ هُنَا ؟ »

أَجَابَ إِنْفِيلْدُ : « هَذَا أَمْرٌ غَيْرٌ مُحْتَمَلٍ ، فَقَدْ لَاحَظْتُ عُنْوَانَهُ . إِنَّهُ يَعِيشُ فِي أَحَدِ الْأَحْيَاءِ الرَّاقِيَةِ ، وَلَكِنِّي لَا أَتَذَكَّرُهُ . »

قَالَ أَتِرْسُونُ : « هَلْ سَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ الْكَتْمَزِلِ ذِي الْبَابِ ؟ »

أَجَابَ إِنْفِيلْدُ : « لَا يَا سَيِّدِي ، لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ . إِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ أُكْثِرَ مِنْ تَوْجِيهِ الْأَسْئَلَةِ ، فَذَلِكَ أَشْبَهُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ . أَوْ أَشْبَهُ بِمَنْ يُلْقَى بِحَجَرٍ مِنْ تَلٍّ مُرْتَفِعٍ ، فَيَهْوِي الْحَجَرُ إِلَى أَسْفَلِ الْكَلِّ وَيَجْرُ مَعَهُ أَحْجَارًا أُخْرَى . وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ قَدْ تَجِدُ أَنْ أَحَدَ هَذِهِ الْأَحْجَارِ أَصَابَ رَأْسَ رَجُلٍ بَرِيءٍ يَجْلِسُ هَادِئًا فِي حَدِيقَتِهِ . إِنَّ الْكَتْمَزِلَ الَّذِي أُوْمِنُ بِهِ أَنَّهُ كُلَّمَا آزَدَاثَ غَرَابَةِ الْمَوْضُوعِ قَلْتُ أَسْأَلْتَنِي عَنْهُ . »

قَالَ الْمُحَامِي : « إِنَّهُ مَبْدَأٌ جَيِّدٌ لِلْعَايَةِ . »

أَضَافَ إِنْفِيلْدُ قَائِلًا : « وَلَكِنِّي قُمْتُ بِنَفْسِي بِدِرَاسَةِ الْكَمَّانِ . إِنَّهُ مِنْ الْمُبَالِغَةِ أَنْ تُصِفَهُ بِأَنَّهُ يَبِيتُ ، فَلَيْسَ فِيهِ بَابٌ غَيْرُ هَذَا الْبَابِ ، وَلَا يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَوْ يَخْرُجُ مِنْهُ أَحَدٌ بِاسْتِثْنَاءِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَيْتُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَهُوَ يَأْتِي إِلَى الْبَيْتِ عَلَى قُرَاطٍ مُتَبَاعِدَةٍ . وَبِالْبَيْتِ مِدْخَنَةٌ يَتَّبِعُ مِنْهَا الدُّخَانُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شَخْصًا مَا يَعِيشُ بِالْبَيْتِ ؛ وَمَعَ هَذَا فَلَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ ، إِذْ إِنَّ الْكَمَّانِي فِي هَذَا الْكَمَّانِ مُتَقَارِبَةٌ مُتَزَاجِمَةٌ وَمِنْ

الصَّعْبِ أَنْ تُعْرِفَ الْحَدَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ بَيْتٍ وَآخَرَ . »

مَضَى الصَّدِيقَانِ فِي طَرِيقَهُمَا صَامِتَيْنِ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَالَ السَّيِّدُ أَتْرُسُونُ :
« إِنَّ مَبْدَأَكَ مَبْدَأُ سَدِيدٍ يَا إِنْفِيلِدُ . »

أَجَابَهُ صَدِيقُهُ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ . »

« وَلَكِنْ مَعَ هَذَا هُنَاكَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهَا : مَا اسْمُ الرَّجُلِ
الَّذِي دَاسَ الْفَتَاةَ وَسَارَ فَوْقَ جَسَدِهَا ؟ »

أَجَابَ إِنْفِيلِدُ : « حَسَنًا ، لَا أَرَى مَا يَمْتَعْنِي مِنْ أَنْ أَخْبِرَكَ بِاسْمِهِ . إِنَّهُ
رَجُلٌ يُدْعَى هَايِدُ . »

« صِفْهُ لِي مِنْ فَضْلِكَ . »

« لَيْسَ مِنَ الْسَهْلِ أَنْ أَصِفَهُ لَكَ . إِنَّ شَيْئًا مَا يَشُوبُ مَظْهَرَهُ الْعَامُ . شَيْءٌ
غَيْرُ سَارٍ ! شَيْءٌ فَظِيحٌ ! إِنِّي لَمْ أَرِ مِنْ قَبْلُ شَخْصًا كَرِهْتُهُ كَمَا كَرِهْتُ ذَلِكَ
الرَّجُلَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَذْرِي سَبَبًا لِكُرْهِ لِهِ . لَا بُدَّ أَنْ يَهْ عَاهَةٌ مَا . فَهُوَ
يَجْعَلُكَ تَشْعُرُ بِأَنَّهُ يُعَانِي مِنْ عَاهَةٍ مُعَيَّنَةٍ - وَلَكِنْ فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جَسَمِهِ ؟ لَا
أَذْرِي بِالتَّحْدِيدِ . إِنَّهُ شَخْصٌ غَرِيبٌ الْمَظْهَرِ ، وَمَعَ غَرَابَةِ مَظْهَرِهِ لَيْسَ فِي
وُسْعِكَ أَنْ تُحَدِّدَ الشَّيْءَ الْغَرِيبَ فِيهِ . لَا يَا سَيِّدِي ، لَيْسَ فِي إِمْكَانِي أَنْ أَصِفَهُ
لَكَ . وَلَا يَرْجِعُ عَجْزِي هَذَا إِلَى أَنِّي نَسِيتُ شَكْلَهُ ، فَصُورَتُهُ أَمَامَ عَيْنِي الْآنَ
بِكُلِّ وَضُوحٍ . »

اسْتَعْرَقَا فِي صَنْتٍ لِفِتْرَةٍ أُخْرَى ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ أَتْرُسُونَ يُفَكِّرُ

يُعمق . وَأخِيرًا قَالَ : « هَلْ أَنْتَ مُتَاكِّدٌ أَنَّهُ اسْتَحْدَمَ مِفْتَاحًا ؟ » وَعِنْدَمَا هَمَّ صَدِيقُهُ بِالْإِجَابَةِ بَادَرَهُ قَائِلًا : « أَعْرِفُ أَنَّ الْأَمْرَ غَرِيبٌ . لَئِي لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ اسْمِ الرَّجُلِ الَّذِي حَرَّرَ الشَّيْكَ لِإِئْتِي أَعْرِفُ اسْمَهُ . أَرَأَيْتَ يَا رِيْشَارْدُ ؟ إِنَّ قِصَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ عَلَى مَسَامِعِ شَخْصٍ لَهُ صِلَةٌ بِالْمَوْضُوعِ . فَإِذَا كُنْتَ غَيْرَ دَقِيقٍ فِي أَيِّ جَانِبٍ مِنَ الْجَوَانِبِ أَرْجُو أَنْ تُصَحِّحَهُ آلَانَ . »

رَدَّ صَدِيقُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُضْبِ : « كُنْتُ أَفْضَلُ لَوْ نَبَّهْتَنِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَلَكِنِّي كُنْتُ دَقِيقًا كُلَّ الدَّقِيقَةِ فِي وَصْفِي لِمَا حَدَثَ . لَقَدْ كَانَ مَعَ الرَّجُلِ مِفْتَاحٌ لِلْبَابِ . بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ يَحْتَفِظُ بِالْمِفْتَاحِ حَتَّى آلَانَ . فَقَدْ رَأَيْتُهُ يَسْتَحْدِمُهُ مُنْذُ أَقَلِّ مِنْ أَسْبُوعٍ . »

تَنَهَّدَ اِئْرِسُونُ يعمق دُونَ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا فَقَالَ اِنْفِيلِدُ : « وَهَذَا دَرَسٌ آخَرُ يُعَلِّمُنِي أَنَّ التَّزِمَ دَائِمًا بِالصَّمْتِ . لَئِي لَا أَحْجَلَ مِنْ طُولِ لِسَانِي . فَلْتَنَفِّقْ مَعًا عَلَى الْآلَا تُثِيرَ هَذَا الْمَوْضُوعَ مَرَّةً أُخْرَى . »

« بِكُلِّ سُرُورٍ يَا رِيْشَارْدُ ! لِنَتَعَاهَدَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذِهِ يَدِي . » ثُمَّ تُصَافِحَا .

الْبَحْثُ عَنْ مِسْتَرِ هَايد

عادَ اِئْرَسُونُ إِلَى بَيْتِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُكْتَتِبًا ، وَتَنَاوَلَ عَشَاءَهُ دُونَ شَهِيَّةٍ . وَكَانَتْ عَادَتُهُ بَعْدَ أَنْ يَتَنَاوَلَ عَشَاءَهُ فِي أَيَّامِ الْآحَادِ أَنْ يَجْلِسَ بِجِوَارِ الْمِدْفَاءَةِ لِيَقْرَأَ أَحَدَ الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ حَتَّى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَأْوِي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فِرَاشِهِ . أَمَّا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَمَا إِنْ أَنْتَهَى مِنْ عَشَائِهِ حَتَّى أَخَذَ شَمْعَةً وَذَهَبَ إِلَى حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ ، ثُمَّ فَتَحَ الْخَزِينَةَ وَأَخْرَجَ مِنْهَا ظَرْفًا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ « وَصِيَّةُ دُكْتُورِ جِيكِيل » وَجَلَسَ مُقْطَبَ الْجَبِينِ يُعْرَنُ فِي قِرَاعَتِهَا . كَانَتْ الْوَصِيَّةُ مَكْتُوبَةً بِحُطِّ صَاحِبِهَا ، وَقَدْ رَفَضَ اِئْرَسُونُ أَنْ يُسَاعِدَ فِي كِتَابَتِهَا رَغْمَ أَنَّهُ مُكَلَّفٌ الْآنَ بِتَنْفِيذِ بُنُودِهَا .

جَاءَ فِي الْوَصِيَّةِ أَنَّهُ فِي حَالَةِ وَفَاةِ دُكْتُورِ جِيكِيل تُنْتَقَلُ جَمِيعُ مُمْتَلَكَاتِهِ إِلَى صَدِيقِهِ اِدْوَارْدِ هَايد . وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، بَلْ هُنَاكَ بَنْدٌ آخَرُ يَقُولُ إِنَّهُ فِي حَالَةِ اخْتِفَاءِ دُكْتُورِ جِيكِيل ، أَوْ غِيَابِهِ لِفَتْوَةٍ تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّ الْمَدْعُو اِدْوَارْدَ هَايدَ يَحُلُّ مَحَلَّ دُكْتُورِ جِيكِيل دُونَ أَيِّ إِبْطَاءٍ وَدُونَ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَيَّ اَلْتِزَامٍ ، أَوْ يَقَوْمَ بِأَيِّ وَاجِبٍ آخَرَ غَيْرِ دَفْعِ مَبَالِغِ ضَمِيمِلَةِ اِلِلْقَائِمِينَ بِالْخِدْمَةِ فِي بَيْتِ الطَّبِيبِ .

أَزْعَجَتْ هَذِهِ الْوَثِيقَةُ اِئْرَسُونَ ، أَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ غَاضِبًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مِسْتَرِ هَايدَ هَذَا . أَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَغَيَّرَ الْوَضْعُ وَأَصْبَحَتْ مَعْرِفَتُهُ بِمِسْتَرِ هَايدَ هِيَ الَّتِي تُثِيرُ غَضَبَهُ . لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ سَيِّئًا عِنْدَمَا كَانَ اسْمُ مِسْتَرِ هَايدَ مُجَرَّدَ اسْمٍ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ صَاحِبِهِ ، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ آرَدَاذَ الْأَمْرُ

سُوَاءَ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ أَيْرُسُونُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَرِيمَ الصَّنَائِفِ . إِنَّ الْغَمُوضَ الَّذِي كَانَ يُحِيطُ بِذَلِكَ الْأَسْمِ قَدْ بَدَأَ يَنْقَشِعُ آلَانَ وَبَرَزَتْ فَجَاءَةُ صُورَةِ شَيْطَانٍ مَارِدٍ .

قَالَ أَيْرُسُونُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُعِيدُ الْوَصِيَّةَ إِلَى مَكَانِهَا فِي الْحَزِينَةِ : « كُنْتُ أَغْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ عَمَلٌ جُنُونِيٌّ - وَقَدْ بَدَأْتُ آلَانَ أُخْشِي أَنْ يَكُونَ فِي الْأَمْرِ فَضِيحَةٌ . » ثُمَّ ارْتَدَى بِغَطْفِهِ وَأَطْفَأَ الشَّمْعَةَ وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَجَهًّا نَحْوَ مَيْدَانِ كَافَلَنْدِيْشْ ، حَيْثُ مَنْزِلُ صَدِيقِهِ الْكَبِيرِ لَدُ كُتُورْ لَاتِيُونِ وَعِبَادَتُهُ . وَكَانَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : « إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ فَهُوَ لَدُ كُتُورْ لَاتِيُونِ . »

عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى هُنَاكَ رَحَّبَ بِهِ الْخَادِمُ ، وَقَادَهُ إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ حَيْثُ كَانَ لَدُ كُتُورْ لَاتِيُونِ جَالِسًا وَحَدَهُ يَشْرَبُ الْقَهْوَةَ . وَمَا لَنْ رَأَى أَيْرُسُونُ حَتَّى هَبَّ وَاقِفًا وَرَحَّبَ بِهِ مَاذَا لَهُ يَدِيهِ ؛ فَقَدْ كَانَا صَدِيقَيْنِ قَدِيمَيْنِ مُنْذُ أَيَّامِ الدِّرَاسَةِ بِالْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةِ . وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ وَيَحْتَرِمُ صَدِيقَهُ ، وَيَجِدُ الْمُتَنَّةَ فِي صُحْبَتِهِ .

بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَا لِقَترَةً قَصِيرَةً فِي مَوَاضِيْعَ مُتَنَوِّعَةٍ وَجَّهَ الْمُحَامِي دَقَّةَ الْحَدِيثِ نَحْوَ الْمَوْضُوعِ الَّذِي كَانَ يُفَلِّقُ خَاطِرَهُ .

قَالَ : « أَغْتَقِدُ يَا لَاتِيُونُ أَنَّنَا - أَنْتَ وَأَنَا - أَكْبَرُ صَدِيقَيْنِ سِينَا لَدُ كُتُورْ جِيكِيلِ . » فَرَدَّ عَلَيْهِ دُكْتُورْ لَاتِيُونُ قَائِلًا : « كَمْ أَتَمَنَّى لَوْ كُنَّا أَصْغَرَ أَصْدِقَائِهِ . لِمَاذَا تَسْأَلُنِي هَذَا السُّؤَالَ ؟ إِنِّي لَا أَرَاهُ كَثِيرًا هَذِهِ الْأَيَّامَ . »



قال أترسُون : « أ حَقًّا هَذَا ؟ إِنْ كُنْتُ أُعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيْكُمَا أَهْتِمَامَاتٍ مُشْتَرَكَةً . »

فَأَجَابَهُ دُكْتُور لَائُون : « لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى . لَقَدْ أَصْبَحَ هِنْرِي جِيكِيل خَيَالِيًّا لِلْغَايَةِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مَضَتْ . وَقَدْ بَدَأَ عَقْلُهُ يَحْتَلُّ . عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي مَازِلْتُ مُهْتَمًّا بِأَمْرِهِ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرَةِ الْقَدِيمَةِ فَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ . » ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا وَقَدْ أَحْمَرَّ وَجْهُهُ مِنَ الْغَضَبِ : « إِنَّ ذَلِكَ الْهَرَاءَ الْعِلْمِيَّ الَّذِي يَهْدِي بِهِ جَدِيرٌ بِأَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ الشَّخْصِ وَأَقْرَبِ أَصْدِقَائِهِ . »

شَعَرَ أترسُون بِشَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ لَدَى سَمَاعِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْغَاضِبَةِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « إِنَّهُمَا لَمْ يَحْتَلِفَا إِلَّا حَوْلَ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ ، لَا أَكْثَرَ . » وَبَعْدَ أَنْ صَمَتَتْ بُرْهَةً قَصِيرَةً سَأَلَ : « هَلْ قَابَلْتَ صَدِيقًا لَهُ يُدْعَى هَايْد ؟ » قَالَ لَائُون : « هَايْد ؟ لَا ، لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَطُّ . »

هَذِهِ هِيَ الْمَعْلُومَاتُ الَّتِي عَادَ بِهَا الْمُحَامِي . وَقَدْ أَقْلَقَتْ مَضْجَعَهُ فَجَعَلَتْهُ يَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِهِ ، وَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّى سَاعَاتِ الصَّبَاحِ الْأُولَى . لَقَدْ كَانَتْ لَيْلَةً لِيَلَاءَ ، أَنَّهُكَ فِيهَا عَقْلُهُ مُفَكِّرًا فِي تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا يَجِدُ لَهَا جَوَابًا .

مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ بَدَأَ أترسُون يُرَاقِبُ ذَلِكَ الْكَابِ الْكَائِنَ بِالشَّارِعِ الْقَرْعِيِّ مُرَاقَبَةً دَائِمَةً ؛ يُرَاقِبُهُ كُلَّ صَبَاحٍ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَى أَغْمَالِهِمْ ، وَفِي

الظاهرة أثناء زحام العمل ، وفي المساء في ضوء القمر الباهت خلال ضباب لندن الكثيف .

أخيراً انتم صبره ، ففي ليلة جوها صاف كان أترسون في موقع مراقبته بعد أن أغلقت المتاجر أبوابها ، وخيم السكون على السكان . وفي هذه الليل سمع وقع أقدام خفيفة تأتي من بعيد . وأخذ الصوت يقترب ويعلو ، فاشرب أترسون بعنقه إلى مدخل الشارع الجانبي وظل يرقب ما يحدث .

بعد فترة وجيزة كان في وسع أترسون أن يرى الرجل الذي سوف يتعامل معه . لقد كان رجلاً صغير الجسم يرتدي ملابس بسيطة . ورغم أنه كان بعيداً عنه ، إلا أن شكله أثار في أترسون شعوراً قوياً بالكراهية والبغض . وسرعان ما اتجه الرجل نحو باب الكهنت وأخرج من جيبه مفتاحاً ليفتح به الباب ، كما يفعل أي رجل عادي عندما يذئو من بيته الذي يعيش فيه .

خرج أترسون من مكمنه ورئت على كيف الرجل قائلاً : « مستر هايد ، أليس كذلك ؟ »

تراجع مستر هايد في دهشة وشهق مأخوذاً من المفاجأة . ولكن خوفه مالبت أن زال ، وأجاب بهدوء دون أن ينظر إلى وجه محدثه : « نعم هذا هو اسمي . ماذا تريد ؟ »

قال المحامي : « أرى أنك توشك على الدخول . أنا صديق قديم لذكور جيكل . اسمي أترسون ، وأعيش في شارع غوئت . لا بد أنك قد

سَجَعْتُ عَنِّي . وَبِمَا أَنِّي قَابَلْتُكَ فِي هَذِهِ الْمَصَادِفَةِ الطَّيِّبَةِ ، فَأَيُّيَ أَمَلُ أَنْ
تُدْعُوَنِي لِلدُّخُولِ . »

أَجَابَهُ مِسْتَرُ هَايدَ : « إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ دُكْتُورَ جِيكِلَ ، فَقَدْ خَرَجَ . » ثُمَّ قَالَ
فُجَاءَةً دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَجْهِ أَيْرُسُونِ : « كَيْفَ عَرَفْتَنِي ؟ »

لَمْ يُجِبْهُ أَيْرُسُونُ ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ : « هَلْ فِي وَسْعِكَ أَنْ تُقَدِّمَ لِي خِدْمَةً ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « بِكُلِّ سُورٍ . مَا هِيَ ؟ »

فَقَالَ الْمُحَامِي : « اسْمَحْ لِي أَنْ أَرَى وَجْهَكَ . »
فَتَرَدَّدَ مِسْتَرُ هَايدَ لِفَتْرَةٍ وَجِيْزَةٍ ، ثُمَّ بَدَأَ وَكَأَنَّمَا قَدْ رَاوَدَتْهُ فِكْرَةٌ مُفَاجِئَةٌ
فَاسْتَدَارَ فِي جُرْأَةٍ . وَنَظَرَ الرَّجُلَانِ كُلُّهُمَا فِي وَجْهِ الْآخَرِ عَنْ قُرْبٍ لِيَعْلَمَا
تَوَانٍ ، وَأَخِيرًا قَالَ أَيْرُسُونُ : « الْآنَ سَوْفَ أَعْرِفُكَ إِذَا الْتَقَيْنَا ثَانِيَةً — فَقَدْ
يَكُونُ ذَلِكَ مُفِيدًا . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ مِسْتَرُ هَايدَ قَائِلًا : « نَعَمْ — مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّنَا الْتَقَيْنَا — وَهَذَا
هُوَ عُنْوَانِي . » وَذَكَرَ لَهُ رَقْمَ مَنْزِلِ فِي حَيِّ سُوهُو .

دَهَشَ أَيْرُسُونُ لِذَلِكَ ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ : « يَا إِلَهِي ! هَلْ يُفَكِّرُ
هُوَ أَيْضًا فِي الْوَصِيَّةِ ؟ » وَلَكِنَّهُ أَخْفَى مَشَاعِرَهُ هَذِهِ وَاحْتَفِظَ بِهَا فِي دَخِيلَةِ
نَفْسِهِ .

عِنْدَئِذٍ قَالَ مِسْتَرُ هَايدَ : « وَ الْآنَ ، قُلْ لِي ، كَيْفَ عَرَفْتَنِي ؟ »

أَجَابَهُ : « بِالْوَصِيفِ . »



« مَنْ الَّذِي وَصَفَنِي لَكَ ؟ »

« إِنَّ لَنَا أَصْدِقَاءَ مُشْتَرَكِينَ . »

« أَصْدِقَاءَ مُشْتَرَكِينَ ؟ مَنْ هُمْ ؟ »

أَجَابَهُ الْمُحَامِي : « جِيكِل مَثَلًا . »

فصاح هايد غاضبًا : « إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَكَ ذَلِكَ أَبَدًا . لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّ فِي
وُسْعِكَ أَنْ تُكْذِبَ . »

قال أترسُون : « مهلاً ، لَيْسَتْ هَذِهِ لُغَةُ الْحَدِيثِ الْمُنَاسِبَةِ . »
انْفَجَرَ هايد فِي ضَحْكِهِ هِسْتِيرِيٍّ ، ثُمَّ فَتَحَ أَلْبَابَ بَسْرَعَةٍ غَرِيبَةٍ . وَماهِي إِلَّا
لَحْظَةٌ حَتَّى كَانَ قَدْ أَخْتَفَى دَاخِلَ الْبَيْتِ .

وَقَفَّ الْمُحَامِي قَلِيلًا أَمَامَ أَلْبَابٍ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ مِسْتَرِ هايد ، وَكَانَ فِي غَايَةِ
الضُّيقِ ، ثُمَّ عَاذَ أَذْرَاجَهُ بِبُطْءِهِ . وَكَانَ كُلُّمَا مَشَى خُطْوَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا تَوَقَّفَ
مُفَكِّرًا فِيمَا حَدَثَ

قال فِي نَفْسِهِ : « لَا بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا آخَرَ لَا أَعْرِفُهُ فَلْيَسَامِحْنِي اللَّهُ ، إِنَّ
كُنْتُ ظَالِمًا لِلرَّجُلِ . إِنَّهُ غَيْرُ آدَمِي ! إِنَّ بِهِ شَيْئًا غَيْرَ طَبِيعِي ! أَمْ تَرَاهُ لَيْسَ إِلَّا
مُجَرَّدَ شَخْصٍ تَقَعُّصَتَهُ رُوحٌ شَرِيرَةٌ فَأَنعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى مَلَامِحِهِ ؟ إِنَّهُ
الْأَحْتِمَالُ الْآخِيرُ فِيمَا أَظُنُّ ، أَيُّهَا الصَّدِيقُ جِيكِل ، إِنِّي لَمْ أَرِ آثَارَ الْشَّيْطَانِ
مَكْتُوبَةً عَلَى وَجْهِ إِنْسَانٍ كَمَا رَأَيْتُهَا عَلَى وَجْهِ صَدِيقِكَ الْجَدِيدِ . »

عَلَى نَاصِيَةِ الْكَشَّارِجِ الْجَانِبِيِّ تَجِدُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْبَنَائِلِ الْغَرِيقَةِ الْأَنْيَقَةِ ،

وَأَنَّ كَائِنَ يَدِ الْكَرْمَنِ قَدْ أَثَرَتْ عَلَيْهَا . وَتَجِدُ مَنَازِلَ أُخْرَى وَمَكَايِبَ
يَسْتَأْجِرُهَا أَنَاسٌ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْكَالِ . وَكَانَ الْبَيْتُ الثَّانِي بَعْدَ
الْتِقَاطِ مُسْتَأْجَرًا بِأَكْمَلِهِ ، وَتَبَدُّو عَلَيْهِ سِمَاتُ الْكُرَّاءِ وَالْكَرَّاهِيَةِ ، وَإِنْ كَانَ
الْبَيْتُ مُظْلِمًا تَمَامًا بِأَسْيِئَاءِ مَصْنُوحٍ يُبَيِّرُ بَابَ الْمَدْخَلِ . وَعِنْدَ هَذَا الْبَيْتِ
تَوَقَّفَ أَيْرُسُونُ وَذَقَّ الْبَابَ ، فَفَتَحَهُ خَادِمٌ كَبِيرُ السِّنِّ ذُو مَلَاسٍ أُنِيقَةٍ . سَأَلَهُ
أَيْرُسُونُ : « هَلْ دُكْتُورُ جِيكِيلِ بِالْبَيْتِ يَا بُرُول ؟ »

فَرَدَّ عَلَيْهِ بُرُولُ قَائِلًا : « سَوْفَ أَرَى يَا سَيِّدُ أَيْرُسُونُ . »

ثُمَّ أَدْخَلَهُ الصَّالَةَ الْوَاسِعَةَ ذَاتَ الْأَثَابِ الْوَتِيرِ وَالْمِدْفَاةِ الْمُشْتَعِلَةِ ، وَسَأَلَهُ
قَائِلًا : « هَلْ تَمَاضَلُ أَنْ تَنْتَظِرَ هُنَا بِجَوَارِ الْمِدْفَاةِ يَا سَيِّدِي ، أَمْ تَفْضَلُ الْإِنْتِظَارَ
فِي غُرْفَةِ الطَّعَامِ ؟ »

قَالَ الْمُحَامِي : « أَفْضَلُ الْإِنْتِظَارِ هُنَا . شُكْرًا . » ثُمَّ أَتَجَّهَ نَحْوَ الْمِدْفَاةِ
لِيُدْفِئَ أَطْرَافَهُ . وَكَانَتْ هَذِهِ الصَّالَةُ الْمَكَانَ الْمَفْضَلُ عِنْدَ دُكْتُورِ جِيكِيلِ ، بَلْ
إِنْ أَيْرُسُونُ نَفْسُهُ كَانَ يَعْتَبِرُهَا أَجْمَلَ صَالَةٍ فِي لَنْدُنَ كُلِّهَا . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ
يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، إِذْ إِنَّ صُورَةَ وَجْهِ مِسْتَرِ هَايدَ كَانَتْ شَغْلَهُ
الْكُشَاغِلَ ، وَكَانَتْ تَمَلُّ عَلَيْهِ مُحْيِلَتُهُ مِمَّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالسَّامِ وَالضُّيْقِ مِنَ
الْحَيَاةِ - وَهُوَ الشَّخْصُ الَّذِي نَادِرًا مَا كَانَ يَنْتَابُهُ مِثْلُ هَذَا الشُّعُورِ . وَفِي
حَالَتِهِ التَّنَفُّسِيَّةِ تِلْكَ كَانَ يَشْعُرُ بِالتَّشَاوُؤِ وَسُوءِ الطَّلَاحِ ، وَهُوَ يَرَى السِّينَةَ اللَّهَبَ
تَتَرَاقَصُ فِي الْمِدْفَاةِ عَاكِسَةً أَضْوَاءَهَا عَلَى الْأَثَابِ الْأَلَامِيعِ ، وَيَشْهَدُ الظُّلَّالَ
وَهِيَ تَقْفِزُ هُنَا وَهَنَّاكَ عَلَى سَقْفِ الْغُرْفَةِ . وَأَخِيرًا جَاءَ بُرُولُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ

دُكْتُور جِيكِل قَدْ خَرَجَ ، فَشَعَرَ اِتْرُسُون بِشَيْءٍ مِنَ الْاَزْتِياحِ ، وَلَكِنَّهُ خَجِلَ
مِنْ شَعُورِهِ هَذَا الَّذِي سَاوَرَهُ .

قَالَ لِيُوول : « لَقَدْ رَأَيْتُ مِسْتَرِ هَايدَ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْمَعْمَلِ ، فَهَلْ هَذَا
أَمْرٌ مَسْمُوحٌ بِهِ فِي غَيْبَةِ دُكْتُور جِيكِل ؟ »

« نَعَمْ يَا سَيِّدُ اِتْرُسُون ، فَهَذَاكَ مِفْتَاحٌ مَعَ مِسْتَرِ هَايدَ . »

قَالَ اِتْرُسُون وَهُوَ مُنْمَعِنٌ فِي تَفْكِيرِهِ : « يَتَدَوَّنُ أَنَّ سَيِّدَكَ يَتَّقِي فِي ذَلِكَ الْكُشَابِ
نَفْعًا كَبِيرًا يَا يُوول . »

فَقَالَ يُوول : « نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، إِنَّهُ يَتَّقِي فِيهِ يَدَوْنِ شَكٍّ . لَقَدْ صَدَرَتْ لَنَا
الْأوامِرُ أَنْ نَكُونَ مُطِيعِينَ لَهُ . »

فَسَأَلَهُ اِتْرُسُون : « يَتَدَوَّنُ أَنِّي لَمْ أَقَابِلْ مِسْتَرِ هَايدَ مِنْ قَبْلُ ؟ »

فَقَالَ يُوول : « لَا يَا سَيِّدِي ! فَهُوَ لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا هُنَا أَبَدًا . وَالْحَقِيقَةُ
أَنَّا نَادِرًا مَا نَرَاهُ فِي هَذَا الْجَانِبِ مِنَ الْبَيْتِ . فَهُوَ غَالِبًا مَا يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ مِنْ
بَابِ الْمَعْمَلِ . »

« حَسَنًا ، تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ يَا يُوول . »

« تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ يَا سَيِّدِي . »

فَقَالَ الْمُحَامِي رَاجِعًا وَالْحُزْنَ يَمْلَأُ قَلْبُهُ ، وَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ : « مِسْكِينٌ
أَنْتَ يَا جِيكِل . كَمْ أَحْشَى أَنْ تَكُونَ فِي مَازِيكِ كَبِيرٍ . » وَذَهَبَتْ بِهِ أَفْكَارُهُ
كُلَّ مَذْهَبٍ ، وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ الْفُطُنُونَ . وَكَانَ مِنْ بَيْنِ أَفْكَارِهِ يَلُوكُ أَنَّ هِنْرِي

جِيكِل الَّذِي كَانَ مُنْذِفَعًا أَثْنَاءَ شَبَابِهِ ، لَا بُدَّ قَدْ اقْتَرَفَ خَطِيئَةً مَا وَحَاوَلْ
إِخْفَاءَهَا . وَلَكِنَّهُ عِقَابُ اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَجِيءَ ، فَاللَّهُ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ . وَأَثَارَتْ
هَذِهِ الْفِكْرَةُ مَخَاوِفَ أُتْرُسُونِ نَفْسِهِ وَبَدَأَ يَسْتَعْرِضُ تَارِيخَ حَيَاتِهِ خَشْيَةً أَنْ
يَكُونَ قَدْ اقْتَرَفَ إِثْمًا مَا وَنَسِيَهُ بِمُرُورِ الزَّمَنِ . لَقَدْ كَانَتْ حَيَاتُهُ دُونَ خَطِيئَةٍ ،
وَالْقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ فِي وَسْعِهِمْ أَنْ يَسْتَعْرِضُوا تَارِيخَ حَيَاتِهِمْ فَيَجِدُوهُ نَقِيًّا
كَتَارِيخِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ شَعَرَ أُتْرُسُونُ بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ مِمَّا ارْتَكَبَ مِنْ
أَخْطَاءٍ كَمَا شَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا عَلَى تَوْفِيقِهِ لَهُ بِأَنْ أَمْتَنَعَ عَنِ ارْتِكَابِ أَخْطَاءٍ كَثِيرَةٍ
هَمَّ بِارْتِكَابِهَا لِكِنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ فِي اللَّحْظَةِ الْآخِرَةِ .

وَعِنْدَمَا رَجَعَ بِتَفْكِيرِهِ إِلَى الْمَوْضُوعِ الْأَصْلِيِّ شَعَرَ بِبَصِصٍ مِنَ الْأَمَلِ
لِمُسَاعَدَةِ صَدِيقِهِ جِيكِلِ فِي مِحْنَتِهِ . قَالَ لِنَفْسِهِ : « لَوْ اسْتَقْصَيْنَا حَيَاةَ مِسْتَرِ
هَائِدِ هَذَا لَوَجَدْنَا فِيهَا أَسْرَارًا يُخْفِيهَا عَنِ النَّاسِ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهَا أَسْرَارٌ خَطِيرَةٌ
مُخْجَلَةٌ . فَمَجَرَّدُ النَّظَرِ إِلَى مَلَاحِجِهِ الْشَّرِيرَةِ يُوحِي بِذَلِكَ . وَلَوْ قُورِئَتْ
أَسْرَارُهُ بِأَسْرَارِ دُكْتُورِ جِيكِلِ لَبَدَّتِ الْآخِرَةُ نَاصِعَةً الْبَيَاضِ . مِنَ الْمُسْتَحِيلِ
أَنْ تَسْتَمِرَّ الْأُمُورُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ . إِنْ جِئْنَا لِنَفْشِرُهُ حِينَئِذَا أَتَوْرُ
ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ يَتَسَلَّلُ كَاللَّصِّ إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِ هِنْرِي . يَا لَكَ مِنْ مَسْكِينٍ
يَاهِنْرِي عِنْدَمَا تَسْتَنْقِظُ وَتَرَاهُ أُمَامَكَ . إِنْ الْأَمْرَ خَطِيرٌ . فَإِذَا كَانَ هَائِدُ هَذَا
عَلَى عِلْمٍ بِالْوَصِيَّةِ فَقَدْ يَفْعَلْ عَلَى التَّعْجِيلِ بِتَنْفِيزِهَا لِيَرْتِكَ . إِنْ أَلَوَاجِبُ
يَدْعُونِي أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ، وَكَمْ أَتَمَنَّى أَنْ يَسْمَحَ لِي جِيكِلُ بِذَلِكَ ! كَمْ أَتَمَنَّى أَنْ
يَسْمَحَ لِي ! » وَعَادَتْ بُنُودُ الْوَصِيَّةِ الْغَرِيبَةِ تَبْدُو أُمَامَ نَاطِرِي أُتْرُسُونِ قَبْرَاهَا
وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي مِرَاةٍ صَافِيَةٍ .

الدُّكْتُور جِيكِل يَشْتَعُرُ بِالْاِزْتِياجِ

فَإَمَّ الدُّكْتُورُ جِيكِلَ بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ بِدَعْوَةٍ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ الْكُدَامَى إِلَى تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ مَعَهُ فِي بَيْتِهِ . وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمُ السَّيِّدُ اِزْرُسُونُ الَّذِي تَعَمَّدَ أَنْ يَظْلَ مَعَ الدُّكْتُورِ جِيكِلَ إِلَى أَنْ يَنْصَرِفَ جَمِيعُ الْمَدْعُوعِينَ . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَيْئًا جَدِيدًا . بَلْ سَبَقَ أَنْ حَدَّثَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ؛ إِذْ إِنَّ اِزْرُسُونُ كَانَ مَحْبُوبًا لَدَى أَصْدِقَائِهِ . وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَسْتَبْقُونَهُ لِيَتَبَادَلُوا مَعَهُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ الْكَثْرَارُونَ مِمَّنْ هُمْ أَقْلُ مِنْهُ رَزَانَةً . وَكَانَ الدُّكْتُورُ جِيكِلَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ يَسُرُّهُمْ ذَلِكَ . وَهَكَذَا جَلَسَ أَمَامَ اِزْرُسُونِ عِنْدَ طَرَفِ الْمِدْفَاةِ .

كَانَ جِيكِلُ ضَحْكَمَا ، حَسَنَ التَّفَاطُيْعِ ، حَلِيقَ الْوَجْهِ ، يُبَاهِزُ الْخُمْسِينَ مِنَ الْعُمَرِ . وَرُبَّمَا أُلْوَحِيَ مَظْهَرُهُ بِأَنْ لَدَيْهِ قَدْرًا مِنَ الْمَكْرِ ، وَلَكِنَّهُ يَنْمُ كَذَلِكَ عَنْ كِفَايَتِهِ وَمَيْلِهِ إِلَى الْعَطْفِ وَالْمَحَبَّةِ . وَكَانَتْ نَظَرُهُ إِلَى صَدِيقِهِ فِي تِلْكَ الْجَلْسَةِ تُعَبِّرُ عَمَّا يُكِنُّهُ لَهُ مِنْ عَاطِفَةٍ صَادِقَةٍ .

بَدَأَ اِزْرُسُونُ الْحَدِيثَ قَائِلًا : « أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَكَ يَا جِيكِلَ . أَنْتَ تَذَكَّرُ وَصِيَّتَكَ تِلْكَ ؟ »

لَوْ أَنَّ أَحَدًا نَظَرَ عَنْ كَتَبٍ إِلَى جِيكِلَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَأَذْرَكَ أَنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ غَيْرُ مُحَبَّبٍ إِلَى نَفْسِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَجَابَ صَدِيقَهُ بِمَرَجٍ وَأَنْشِرَاجٍ قَائِلًا : « مَسْكِينُ أَنْتَ يَا اِزْرُسُونُ . مِنْ سُوءِ حَظِّكَ أَنَّ عَلَيْكَ أَنْ

تَقَدَّمَ الْتَّصَحَّ لِشَخْصٍ مِثْلِي . إِنَّنِي لَمْ أَرْ قَطُّ مَنْ ضَاقَ بِشَيْءٍ قَدَّرَ ضَيْقَكَ
بِوَصِيَّتِي . «

قَالَ أَتْرُسُون : « أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي لَمْ أُوَافِقْ عَلَيْهَا قَطُّ . »
فَرَدَّ عَلَيْهِ جِيكِلُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحِدَّةِ : « نَعَمْ ! بِكُلِّ تَأْكِيدٍ أَغْرِفُ ذَلِكَ . لَقَدْ
قَلَقْتُهُ لِي . »

فَوَاصَلَ الْمُحَامِي حَدِيثَهُ قَائِلًا : « حَسَنًا ، هَآنَذَا أَقُولُ ذَلِكَ لَكَ مَرَّةً
أُخْرَى . لَقَدْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هَايِد . »

هَذَا شَحَبَ وَجْهَ دُكْتُورِ جِيكِلُ - ذَلِكَ الْوَجْهَ الْسَّمُوحَ الْمُسْتَدِيرُ - وَاصْفَرَّ
حَتَّى شَفَتَيْهِ . قَالَ : « لَا يُهْمُنِي أَنْ أَسْمَعَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّنَا أَتَّفَقْنَا عَلَى
أَلَّا نَتَحَدَّثَ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ . »

قَالَ أَتْرُسُون : « إِنْ مَا سَمِعْتُهُ يُثِيرُ الْحَجَلَ . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ الطَّبِيبُ بِأَرْتَبَاكَ : « إِنْ هَذَا لَا يُغَيِّرُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا . إِنْ مَوْقِفِي
مُؤَلِّمٌ يَا أَتْرُسُون . وَهُوَ مَوْقِفٌ غَرِيبٌ .. غَرِيبٌ حَقًّا ! وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ الْبَنُوعِ
الَّذِي لَا يُمَكِّنُ إِصْلَاحَهُ بِالْكَلَامِ . »

قَالَ أَتْرُسُون : « أَنْتَ تَعْرِفُنِي جَيِّدًا يَا جِيكِلُ . إِنَّنِي شَخْصٌ يُوثِقُ بِهِ .
وَعَلَيْكَ أَنْ تُخَيِّرَنِي بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ سِرَّكَ مَحْفُوظٌ . وَلَيْسَ عِنْدِي أَيُّ
شَيْءٍ فِي قُدْرَتِي عَلَى إِخْرَاجِكَ مِنْ هَذَا الْمَآزِقِ . »

قَالَ الطَّبِيبُ : « أَيُّهَا الْغَزِيرُ أَتِرْسُون ! إِنَّهُ لَجَمِيلٌ مِنْكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا ، وَلَسْتُ أَجِدُ مِنَ الْكَلِمَاتِ مَا أُعَبِّرُ بِهِ عَنْ شُكْرِي لَكَ . أَنَا أَصَدُقُكَ كُلُّ الصُّدِيقِ . وَإِنَّ نَفْسِي بِكَ لَتَسْبِقُ نَفْسِي بِأَيِّ شَخْصٍ حَيٍّ آخَرَ . نَعَمْ ، تَسْبِقُ نَفْسِي بِنَفْسِي إِذَا كَانَ لِي أَنْ أُخْتَارَ . وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّ . وَلَكِنِّي أُرِيحُ قَلْبَكَ الطَّبِيبَ سَأُخْبِرُكَ بِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ أَنَّ فِي وَسْعِي التَّخَلُّصَ مِنْ مِسْتَرٍ هَائِدٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أُرِيدُهُ . إِنِّي أَعَاهِدُكَ عَلَى ذَلِكَ . وَإِنِّي لَأَشْكُرُكَ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا . وَأَفْضَلُ أَنْ أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ كَلِمَةً صَغِيرَةً حَبْدًا لَوْ تَقَبَّلْتَهَا بِصَدْرِ رَحْبٍ . إِنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ خَاصٌّ لِلْغَايَةِ وَأَرْجُوكَ أَلَّا تُثْمِرُهُ . »

صَمَتَ أَتِرْسُونُ فَتَرَةً ثُمَّ قَالَ : « أَأَنْتَ عَلَى حَقٍّ دُونَ شَكٍّ . » ثُمَّ تَهَضَّ وَاقْفَا .

قَالَ الطَّبِيبُ : « حَسَنًا ! وَلَكِنْ بِمَا أَتْنَا قَدْ أَشْرْنَا إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ - وَائْتَمَنِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ - فَهَنَّاكَ نُقْطَةً وَاحِدَةً أُحِبُّ مِنْكَ أَنْ تَعْمَهَا . إِنَّ لَدَيَّ مَا يَجْعَلُنِي أَهْتَمُّ أَهْتِمَامًا كَبِيرًا بِهَائِدِ الْمُسْكِينِ . أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ قَدْ رَأَيْتُهُ ، فَقَدْ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ . وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ تَصَرَّفَ مَعَكَ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُهَذَّبَةٍ . وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ فَهَنَّاكَ مَا يَجْعَلُنِي أَهْتَمُّ أَهْتِمَامًا شَدِيدًا بِذَلِكَ الْكُتَّابِ . وَإِذَا حَدَّثَ أَنْ ذَهَبْتُ وَلَمْ أَعُدْ ، فَإِنِّي أُحِبُّ يَا غَزِيرِي أَتِرْسُونُ أَنْ تَعِدَنِي بِأَنْ تَتَحَمَّلَهُ وَتَحْصُلَ لَهُ عَلَى حَقْوِهِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَعِدُنِي بِذَلِكَ إِذَا عَرَفْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ . وَسَوْفَ أَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ كُلِّ الرَّاحَةِ لَوْ أَنَّكَ وَعَدْتَنِي بِذَلِكَ . »

قال المحامي : « ليس في وسعي أن أدعي أن في إمكاني أن أجبه في يوم من الأيام . »

رد جيكل قائلا : « لست أطلب ذلك . إن ما أطلبه هو أن يحصل على حقه ، وأن تُساعده من أجلي في حالة عدم وجودي . »

قال إترسون وهو يتنهّد : « حسنا ! أعدك . »

قَصِيَّةُ اغْتِيَالِ كَارُو

بَعْدَ مُرُورِ عَامٍ تُقْرِيًّا ، وَفِي شَهْرِ أَكْتُوبَرِ سَنَةِ ١٨ أَهْتَرْتُ لُنْدُنَ لِجَرِمَةٍ



قَتَلَ اَتَمَسَتْ بِوَ خَشِيَّةٍ بِالْعَةِ . وَمِمَّا زَادَ فِي اَنْتِشَارِ اَنْبَاءِ تِلْكَ الْجَرِيْمَةِ اَنَّ الْكَفَيْلَ
كَانَ مِنْ شَخْصِيَّاتِ لُنْدَنَ الْكَرْمُوقَةِ .

أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِتَفَاصِيلِهَا فَقَدْ كَانَتْ مَحْدُودَةً وَعَجَبِيَّةً حَقًّا . ذَلِكَ أَنَّ إِحْدَى
الْخَادِمَاتِ كَانَتْ تَعِيشُ بِمُفْرَدِهَا فِي مَنْزِلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّهْرِ ، وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ
الْخَادِيَةِ عَشْرَةَ مَسَاءً ذَهَبَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا بِالْذُّورِ الْعُلُويِّ لِتَنَامَ . وَكَانَتْ السَّمَاءُ
صَافِيَةً ، وَأَشِعَّةُ الْقَمَرِ تُنِيرُ الْشَّارِعَ الْجَانِبِيَّ الَّذِي تُطُلُّ عَلَيْهِ الْغُرْفَةُ : فَقَدْ كَانَ
الْقَمَرُ بَدْرًا .

وَيَبْدُو أَنَّ الْفَتَاةَ كَانَتْ مِنَ الْتَوَجُّعِ الْخَيَالِيِّ ، فَقَدْ جَلَسَتْ عَلَى صُنْدُوقِ
بِجَوَارِ الْتَافِذَةِ ، وَجَنَحَ بِهَا الْخَيَالُ . وَكَانَتْ تَقُولُ وَاصِفَةً مَا حَدَّثَتْ
وَالْذَّمُوعَ تَنْهَجُرُ مِنْ عَيْنَيْهَا إِنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ مِنْ قَبْلِ أَنْ شَعَرَتْ بِمَا كَانَتْ
تَشْعُرُ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَلِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ . وَبَيْنَمَا كَانَتْ فِي جِلْسَتِهَا
تِلْكَ رَأَتْ رَجُلًا مُسِينًا وَسِيمًا أَتْيَضَ الشَّعْرُ يَقْتَرِبُ ، وَرَأَتْ كَذَلِكَ شَخْصًا
آخَرَ ضَعِيلَ الْجِسْمِ يَتَجَهَّ نَحْوَهُ لِيُقَابِلَهُ . وَلَمْ تَأْيِهْ الْفَتَاةُ بِهَذَا الرَّجُلِ أَوَّلَ
الْأَمْرِ . وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ (وَكَانَ ذَلِكَ تَحْتَ التَّافِذَةِ الَّتِي تُطُلُّ مِنْهَا الْفَتَاةُ
مُبَاشَرَةً) أَنْحَنَى الرَّجُلُ الْمُسِينُ وَتَحَدَّثَ إِلَى الرَّجُلِ الْآخَرِ فِي أَذْبٍ شَدِيدٍ .
وَيَبْدُو أَنَّ مَوْضُوعَ الْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ ذَا أَهْمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ . وَكَانَ وَاضِحًا مِنْ
إِشَارَاتِ يَدَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُ إِلَّا عَنِ الطَّرِيقِ . وَكَانَ ضَوْؤُ الْقَمَرِ يُنِيرُ وَجْهَهُ
وَهُوَ يَتَحَدَّثُ ، وَقَدْ شَعَرَتْ الْفَتَاةُ بِأَرْتِيَاكِ وَهِيَ تُلْمَحُ قَسَمَاتِ وَجْهِهِ الَّتِي تُنْمُ
عَنْ طَبِيعَةٍ بَرِيَّةٍ خَالِصَةٍ يَنْدُرُ وُجُودُهَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، كَمَا تُنْمُ عَنْ رِفْعَةٍ وَقَنَاعَةٍ

نَفْسٍ . ثُمَّ اتَّجَهَتْ بِنَظَرِهَا إِلَى الرَّجُلِ الْآخَرِ وَكَمْ أَذْهَشَهَا أَنْ تَعْرِفَ عَلَيْهِ
 إِنَّهُ بَسْتَرُ هَايِدِ الَّذِي كَانَ قَدْ زَارَ سَيِّدَهَا ذَاتَ مَرَّةٍ وَالَّذِي شَعَرَتْ نَحْوَهُ بِشَيْءٍ
 مِنَ الْكِرَاهِيَةِ . وَكَانَ يَحْمِلُ فِي يَدِهِ عَصَا غَلِيظَةً يُلَوِّحُ بِهَا فِي تَكَاسُلٍ . وَلَمْ يَرُدِّ
 هَايِدَ عَلَى سُؤَالِ الرَّجُلِ الْمُسِينِ ، بَلِ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ بِصَبْرِ نَائِذٍ . ثُمَّ أَنْفَجَرَ فُجَاءَةً فِي
 غَضَبٍ صَاحِبٍ ، وَأَخَذَ يَدُقُّ بِقَدَمَيْهِ الْأَرْضَ . وَيُلَوِّحُ بِعَصَاهُ فِي عُنْفٍ
 وَيَتَصَرَّفُ (عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْفَتَاةِ) كَمَا لَوْ كَانَ مَجْنُونًا . أَمَّا الرَّجُلُ الْمُسِينُ
 فَقَدْ تَرَجَّعَ خُطْوَةً إِلَى الْخَلِيفِ مَأْخُودًا بِهَذَا التَّصَرُّفِ ، وَبَدَأَ كَأَنَّمَا قَدْ أَحْسَ
 بِشَيْءٍ مِنَ الْإِهَانَةِ لِإِزَاعِهِ . وَعِنْدَيْهِ فَاقَ غَضَبُ هَايِدِ الْحُدُودَ ، فَكَالَ لِلشَّيْخِ
 الضَّرَبَاتِ بِعَصَاهُ حَتَّى أَوْقَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ دَاسَ بِقَدَمَيْهِ عَلَى ضَجِحَتِهِ كَأَنَّمَا
 هُوَ شِمْبَانِزِي غَاضِبٌ . وَكَالَ لَهُ مِنَ الضَّرَبَاتِ الْعَنِيفَةِ بِعَصَاهُ مَا هَشَمَ عِظَامَهُ
 وَجَعَلَ جَسَدَهُ يَرْتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ مِنْ عُنْفِ الضَّرَبَاتِ . وَكَانَ مِنْ أَثَرِ هَذَا أَنْ
 أَغْبَى عَلَى الْفَتَاةِ لِهَوْلِ مَا رَأَتْ .

عِنْدَمَا اسْتَعَادَتْ الْفَتَاةُ وَغِيهَا كَانَتْ السَّاعَةُ الثَّانِيَةَ صَبَاحًا فَأَسْرَعَتْ بِطَلَبِ
 الْكُشْرَةِ . وَكَانَ الْقَاتِلُ قَدْ غَادَرَ مَكَانَ جَرِيمَتِهِ مِنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، أَمَّا ضَحِيَّتُهُ
 فَكَانَ مُلْقَى فِي غُرْضِ الطَّرِيقِ مُهَشَّمًا وَمُمَرَّقًا بِصُورَةٍ لَا يُصَدِّقُهَا عَقْلٌ . أَمَّا
 الْقَعَا الَّتِي اسْتَحْدِمَتْ فِي الْجَرِيمَةِ وَالَّتِي كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنَ الْخَشَبِ الصَّلْبِ
 الثَّقِيلِ فَقَدْ أَنْكَسَرَتْ مِنْ شِدَّةِ الضَّرَبَاتِ وَتَدَخَّرَجَ نِصْفُهَا فِي الْبُشَارِجِ ، أَمَّا
 النِّصْفُ الْآخَرُ فَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْقَاتِلَ قَدْ أَخَذَهُ مَعَهُ .

وَوَجَدَتْ الْكُشْرَةَ مَحْفُظَةً تَحْتَ الْقَتِيلِ وَسَاعَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ لَمْ يَعْثُرْ بِهَمَا
 أَحَدٌ . وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ بِطَاقَةٍ أَوْ أَوْرَاقٍ بِاسْتِثْنَاءِ ظَرْفٍ مُغْلَقٍ وَمَحْتَوِيٍّ مِنْ

الْمُحْتَمَلِ أَنْ الْقَتِيلَ كَانَ مُتَّجِهَاً لِيَضَعَهُ فِي صُنْدُوقِ الْبَرِيدِ . وَكَانَ عَلَى الظُّرْفِ
أَسْمُ مِسْتَرٍ أُتْرُسُونُ وَعُنْوَانُهُ .

عِنْدَمَا أَشْرَقَ الصَّبَاحُ حَمَلَ شُرْطِي الْكُنْبَا إِلَى الْكَسِيْدِ أُتْرُسُونُ فِي بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ
يَسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ . وَمَا إِنْ سَمِعَ أُتْرُسُونُ بِالْحَادِثِ حَتَّى عَبَسَ وَجْهُهُ وَقَالَ
لِلشُّرْطِيِّ : « لَنْ أَقُولَ شَيْئًا حَتَّى أَرَى الْجُثَّةَ فَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِي غَايَةِ
الْخُطُورَةِ . تَفَضَّلْ بِالْإِنْتِظَارِ حَتَّى أُرْتَدِيَ مَلَابِسِي . »

وَأَسْرَعَ فِي تَنَاوُلِ إِفْطَارِهِ وَارْتِدَاءِ مَلَابِسِهِ عَابِسَ الْوَجْهِ مُقَطَّبَ الْجَبِينِ ، ثُمَّ
قَادَ عَرَبَتَهُ إِلَى مَرْكَزِ الْشُّرْطَةِ حَيْثُ كَانَتِ الْجُثَّةُ قَدْ ثِقَلَتْ . وَمَا إِنْ رَأَاهَا حَتَّى
قَالَ : « نَعَمْ ، إِنِّي أُعْرِفُهُ . يُوسُفُنِي أَنْ أَقُولَ إِنَّ هَذِهِ جُثَّةُ سِر . دَائِلِرْز
كَارُو . »

صَاحَ ضَابِطُ الشُّرْطَةِ فِي دَهْشَةٍ : « يَا لِلْعَجَبِ ، هَلْ هَذَا مُمَكِّنٌ ؟ » ثُمَّ
قَالَ وَقَدْ رَاوَدَهُ أَمَلٌ فِي التَّرْقِيَةِ : « إِنَّ هَذَا الْخَبَرَ سَوْفَ يُحَدِّثُ دَوِيًّا كَبِيرًا ،
وَرُبَّمَا سَاعَدَتْنَا فِي التَّوَصُّلِ إِلَى الْقَاتِلِ . » ثُمَّ سَرَدَ لَهُ بِإِيجَازٍ مَا رَأَتْهُ الْفَتَاةُ وَأَرَاهُ
الْعَصَا الْمَكْسُورَةَ .

ذَهَلَ أُتْرُسُونُ وَاتَّابَتْهُ الْحَيْرَةُ عِنْدَمَا سَمِعَ أَسْمَ هَايْدِ ، وَلَكِنَّ خَيْرَتَهُ تِلْكَ لَمْ
تَلْبَثْ أَنْ زَالَتْ عِنْدَمَا رَأَى النُّصْفَ الْمَكْسُورَ مِنَ الْعَصَا . فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ
ذَلِكَ الْجُزْءَ كَانَ مُهَشَّمًا فَإِنَّ أُتْرُسُونُ تَعَرَّفَ عَلَيْهِ . فَقَدْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَهْدَى
تِلْكَ الْعَصَا لِيَهْنِي جِيكِيلَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ .

سَأَلَ أُتْرُسُونُ : « هَلْ مِسْتَرُ هَايْدِ هَذَا ضَعِيلُ الْجِسْمِ ؟ »



أُجَابَ الشَّرْطِيُّ : « ضَمِيلُ الْجِسْمِ ، ذُو مَلَامِحَ شَرِيرَةٍ عَلَى حَدِّ تَغْيِيرِ
الْفَتَاةِ . »

أُطْرَقَ مِسْتَرُ أُنْزُسُونُ مُفَكِّرًا ثُمَّ قَالَ : « إِذَا جِئْتُ مَعِيَ فِي عَرَبْتِي فَأَعْتَقِدْ أَنَّ
يُوسُوعِي أَنْ أَخْذَكَ إِلَى بَيْتِهِ . »

عِنْدَمَا تَوَقَّفَتِ الْعَرَبَةُ أَمَامَ الْمَنْزِلِ الَّذِي فِي الْعُنُودِ الْمَذْكُورِ كَانَ الضُّبَابُ
قَدْ انْتَشَعَ بَعْضُ الشَّيْءِ ، وَأَظْهَرَ شَارِعًا غَيْرَ نَظِيفٍ ، وَدُكَّانًا لِبَيْعِ الْعَصِيرِ ،
وَمَطْعَمًا رَخِيسًا يُقَدِّمُ الْأَطْعِمَةَ غَيْرَ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَعَدْدًا مِنَ الْأَطْفَالِ فِي
أَسْمَالِهِمْ الْبَالِيَةِ يَرْتَعِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ ، وَبَعْضَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
مُبَكِّرَاتٍ .

وَعَادَ الضُّبَابُ مَرَّةً أُخْرَى وَحَجَبَ هَذِهِ الْمَنَاطِرَ عَمَّا حَوْلَهَا . لَقَدْ كَانَ
ذَلِكَ هُوَ مَنْزِلَ الرَّجُلِ الْمُفْضِلِ لَدَى الدُّكَّانِ جِيكِلِ ، وَالَّذِي سَيَرْتُ رُبْعَ
مِائِيَةٍ مِنَ الْجُنَيْهَاتِ .

فَتَحَتِ الْبَابَ أَمْرًا ذَاتَ شَعْرِ أَيْضَ وَوَجْهٍ عَاجِيٍّ . وَرَغِمَ أَنَّ مَلَامِحَ
وَجْهِهَا كَانَتْ تَنْطِقُ بِالشَّرِّ ، فَإِنَّ مَسْلَكَهَا كَانَ مُهَذَّبًا لِلْعَاقِبَةِ .

قَالَتْ : « هَذَا هُوَ بَيْتُ مِسْتَرِ هَايْدَ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُوجُودٍ ، فَقَدْ جَاءَ مُتَأَخِّرًا
جِدًّا فِي الْكَلِيلِ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ أَقَلِّ مِنْ سَاعَةٍ . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ الْغَرِيبِ
فَهُوَ غَيْرُ مُنْتَظَمٍ فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، وَغَالِبًا مَا يَتَغَيَّبُ عَنْ بَيْتِهِ . فَقَدْ تَغَيَّبَ عَنْهُ مُدَّةَ
شَهْرَيْنِ وَلَمْ تَرَهُ بَعْدَهُمَا إِلَّا أَمْسَ . »

قَالَ الْمُحَامِي : « حَسَنًا ، نَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نُفَتِّشَ الْمَنْزِلَ . » وَلَمَّا حَاوَلَتْ
الْمَرْأَةُ الرِّفْضَ قَالَ لَهَا : « أَفْضَلُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَخْصِيَّةِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي
يَصْنَعُنِي ، إِنَّهُ مُفْتَشُّ الشَّرْطَةِ نِيُوكُومِينَ . »
إِخْتَسَى وَجْهَ الْمَرْأَةِ بِمَسْحَةٍ مِنَ السَّرُورِ الْمَشُوبِ بِالْحَقْدِ وَقَالَتْ :
« آه ! إِنَّهُ فِي مَازِقٍ ! مَاذَا فَعَلَ ؟ »

فَتَبَادَلَ كُلٌّ مِنْ أُتْرُسُونِ وَالْمُفْتَشِّ النَّظَرَاتِ ، ثُمَّ قَالَ الْمُفْتَشُّ : « يَتَدَوَّلُ
لَيْسَ بِالشَّخْصِ الْمَحْبُوبِ . وَآلَانَ أَيُّهَا السَّيِّدَةُ الطَّيِّبَةُ ، أَسْمَحِي لِي وَلِهَذَا
السَّيِّدُ أَنْ تُنْقِصَ نَظْرَةَ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ . »

لَمْ يَكُنْ مُسْتَرٌ هَائِدٌ يَشْغُلُ مِنَ الْبَيْتِ كُلِّهِ إِلَّا غُرْفَتَيْنِ . وَلَمْ يَكُنْ بِهِ إِلَّا تِلْكَ
الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ . وَكَانَتِ الْغُرْفَتَانِ مُؤَثَّثَتَيْنِ بِأَفْخَرِ الْأَثَائِثِ الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ
ذَوِقِ سَلِيمِ . وَكَانَ الدُّوْلَابُ مَلِيقًا بِالزُّجَاجَاتِ وَالْمَلَاعِقِ وَالشُّوْكِ الْفِضِّيَّةِ ،
وَكَانَ عَلَى الْمَائِدَةِ مِفْرَشٌ فَاخِرٌ ، وَعَلَى الْحَائِطِ كَانَتْ صُورَةٌ جَمِيلَةٌ قَالَ عَنْهَا
أُتْرُسُونٌ فِي نَفْسِهِ إِنَّهَا كَانَتْ دُونَ شِكِّ هَدِيَّةٍ مِنَ الدُّكْتُورِ جِيكِلِ الَّذِي كَانَ
يَتَمَتَّعُ بِذَوِقِ سَلِيمِ . أَمَّا السَّجَاجِيذُ فَقَدْ كَانَتْ وَثِيرَةً وَذَاتُ الْوَانِ بَهِيجَةً .

كَانَتِ الْغُرْفَتَانِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فِي حَالَةٍ فَوْضِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ شَخْصًا مَا قَدْ
قَامَ يَتَفَتِّشُهَا مِنْذُ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ . فَقَدْ كَانَتِ الْمَلَابِسُ مُلْفَاةً عَلَى الْأَرْضِ وَجَبُوبُهَا
بَارِزَةً إِلَى الْخَارِجِ ، وَكَانَتِ الْأَذْرَاجُ مَفْتُوحَةً ، وَبِالْيَدِفَاءِ كَوْمَةٌ مِنَ الْكِرْمَادِ مِمَّا
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوْرَاقًا كَثِيرَةً قَدْ أُخْرِقَتْ بِهَا . وَالتَّقَطُّ الْمُفْتَشُّ مِنْ وَسْطِ كَوْمَةِ
الْكِرْمَادِ هَذِهِ كَعَبٌ دَفْتَرِ شَيْكَابِ أَحْضَرَ اللَّوْنِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الْتِيرَانُ ، كَمَا وَجَدَ

الْتَصَفَ الْآخَرَ لِلْعَصَا وَرَاءَ الْبَابِ مِمَّا زَادَ يَقِينُ الْمُفْتَشِّ وَجَعَلَهُ يَشْعُرُ بِأَرْتِجَاجِ شَدِيدٍ . وَقَدْ أَزْدَادَ سُورُهُ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِزِيَارَةِ لِلْبَنكِ وَعَرَفَ أَنَّ لِلْقَاتِلِ حِسَابًا أَوْدَعَ فِيهِ عِدَّةَ آلَافٍ مِنَ الْجُنَيْهَاتِ .

فَالِ الْمُفْتَشِّ لِأَبْرُسُون : « كُنْتُ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّهُ سَوْفَ يَقَعُ فِي قَبْضَتِي لَا مَحَالَةَ . لَا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ عِنْدَمَا تَرَكَ وَرَاءَهُ نِصْفَ الْعَصَا وَحَاوَلَ إِحْرَاقَ دَفْتَرِ الْكُشْيَاكِاتِ . إِنَّ أَمَالَ عَصَبُ الْحَيَاةِ وَلَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَنْتَظِرَهُ فِي الْبَنكِ وَنُرَاقِبَ أَيَّ تَعَامُلٍ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ . »

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَكُنْ مُحَاوَلَةُ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ إِلَّا الْقَلِيلُونَ . بَلْ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَجَرَ لَهُ الْخَادِمَةَ لَمْ يَرَهُ طَوَالَ فِتْرَةِ خِدْمَتِهَا لَهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ صُورَةً فُوتُوغْرَافِيَّةً لِهَازِيدِ قَطْ ، وَلَمْ يَهْتِدِ أَحَدٌ إِلَى مَعْرِفَةِ أَيِّ مِنْ أَقْرَبَائِهِ أَوْ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ . وَمِمَّا زَادَ الْطَّيْنِ بِلَّةً أَنَّ مَنْ رَأَوْهُ اخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَبِيرًا فِي وَصْفِ مَلَابِجِهِ ، وَلَمْ يَتَّفِقُوا إِلَّا فِي نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أَنَّ مَنْ يَرَاهُ لَا بُدَّ أَنْ يَشْعُرَ أَنَّ هَيْئَتَهُ غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ .

حادثة الخطاب

ذَهَبَ أُتْرُسُونُ فِي سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مَنْزِلِ دُكْتُور جِيكِل ، وَقَادَهُ يُوُولُ فِي التَّوَعُّبِ الْمَطْبُوحِ إِلَى فَنَاءٍ كَانَ مِنْ قَبْلِ حَدِيقَةٍ ، ثُمَّ إِلَى جُزْءٍ مِنَ الْمَنْزِلِ كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَعْمَلِ . وَكَانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُكْتُور جِيكِل صَدِيقَهُ أُتْرُسُونُ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ مِنَ الْمَنْزِلِ ، وَلِهَذَا كَانَ الْفُضُولُ يَدْفَعُ أُتْرُسُونُ إِلَى أَنْ يُدْفَقَ النَّظَرُ فِي أُنْحَاءِ ذَلِكَ الْمَبْنَى الْبَاهِتِ الْكَلُونِ ، الَّذِي لَمْ تَكُنْ بِهِ ثَوَافِدُ تُطِلُّ عَلَى الشَّارِعِ . وَأَخَذَ يُحْمِلُ حَوْلَهُ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَعْمَلِ الطَّيِّبِ وَقَدْ سَاوَرَهُ شُعُورٌ بَغِيضٌ بِالتَّعَجُّبِ وَالْاِسْتِغْرَابِ .

كَانَ الْمَعْمَلُ غُرْفَةً وَاسِعَةً مُجَهَّزَةً بِدَوَالِيبِ زُجَاجِيَّةٍ ، وَبِهَا مِرْآةٌ كَبِيرَةٌ وَمِنْضَدَةٌ ، وَلَهَا ثَلَاثُ ثَوَافِدَ مُعَبَّرَةٍ ذَاتِ قُضْبَانٍ حَدِيدِيَّةٍ تُطِلُّ عَلَى الْفَنَاءِ . وَكَانَتْ الْنَّارُ مُشْتَعِلَةً فِي الْكِدْفَاءِ ، وَكَانَ عَلَى رَفِّ الْكِدْفَةِ مِصْبَاحٌ مُنِيرٌ ، إِذْ إِنَّ الضُّبَابَ كَانَ مِنَ الْكُثَافَةِ بِحَيْثُ تُسَرَّبُ إِلَى دَاخِلِ الْمَنَازِلِ وَجَعَلَ الرُّؤْيَا مَحْدُودَةً . وَعَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْكِدْفَاءِ كَانَ الدُّكْتُورُ جِيكِلُ جَالِسًا شَاخِبَ الْوَجْهِ هَزِيلًا . وَلَمْ يَقُمْ لِاسْتِقْبَالِ ضَيْفِهِ بَلْ مَدَّ لَهُ يَدًا بَارِدَةً وَرَحَّبَ بِهِ بِصَوْتٍ مُتَغَيِّرٍ .

مَا إِنَّ غَادَرَ يُوُولُ الْغُرْفَةَ حَتَّى قَالَ أُتْرُسُونُ : « لَا بُدَّ أَنَّكَ سَمِعْتَ الْأَخْبَارَ . »

أَصَابَتِ الطَّبِيبَ رَعَشَةٌ وَقَالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُهُمْ يَصْبِحُونَ بِهَا فِي الشَّارِعِ .
سَمِعْتُهُمْ وَأَنَا فِي غُرْفَةِ الطَّعَامِ . »

قَالَ أَيْرُسُون : « بِإِخْتِصَارٍ ، لَقَدْ كَانَ كَارُوا أَحَدَ عَمَلَانِي وَكَذَلِكَ أَنْتَ .
وَأُرِيدُ أَنْ أُعْرِفَ مَا أَقَوْمُ بِهِ . أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ بَلَغَ بِكَ الْجُنُونُ حَدَّ إِخْفَاءِ
ذَلِكَ الرَّجُلِ ؟ »

صَاحَ الطَّبِيبُ : « أَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا أَيْرُسُونُ إِنِّي لَنْ أَرَاهُ ثَانِيَةً . لَقَدْ أَتَيْتُ
عِلَاقَتِي بِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ . لَقَدْ قَطَعْتُ عِلَاقَتِي بِهِ تَمَامًا . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ فِي غَيْرِ
حَاجَةٍ إِلَى مُسَاعَدَتِي . أَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ كَمَا أَعْرِفُهُ أَنَا ، إِنَّهُ فِي أَمَانٍ ، فِي أَمَانٍ
كَامِلٍ . وَأَوْكُذْ لَكَ أَنَّهُ لَنْ يَسْمَعَ بِهِ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ . »

كَانَ الْمُحَامِي يَسْتَمِعُ بِاهْتِمَامٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْتَحِ إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ الْمَحْمُومَةِ
الَّتِي كَانَ يَتَحَدَّثُ بِهَا صَدِيقُهُ ، فَقَالَ لَهُ : « يَبْدُو أَنَّكَ وَائِقٌ مِنْهُ كُلِّ الْثَقَّةِ ،
وَإِنِّي أَتَمَنَّى - مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ - أَنْ تَكُونَ مُصِيبًا فِيمَا تَقُولُ ، فَهَنَّاكَ
أَحْتِمَالًا أَنْ يُذَكَّرَ أَسْمُكَ إِذَا عُرِضَ الْأَمْرُ عَلَى الْقَضَاءِ . »

أَجَابَهُ جِيكِل : « إِنِّي وَائِقٌ مِنْهُ كُلِّ الْثَقَّةِ ، وَلَدَيَّْ أَسْبَابٌ أَكِيدُهُ تَجْعَلُنِي
وَائِقًا فِيهِ ، وَلَيْسَ فِي وَسْئِي أَنْ أَخْبِرَ بِهَا أَحَدًا ، لَكِنْ هُنَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ يُمْكِنُنِي
أَنْ أَطْلُبَ رَأْيَكَ فِيهِ . لَقَدْ .. لَقَدْ تَسَلَّمْتُ خِطَابًا وَلَسْتُ أَذْرِي هَلْ مِنْ
الْحِكْمَةِ أَنْ أَرِيَهُ لِرِجَالِ الشَّرْطَةِ . وَأَفْضَلُ أَنْ أَتْرَكَ الْمَوْضُوعَ فِي يَدِكَ
يَا أَيْرُسُون ، فَإِنَّا وَائِقٌ أَنَّكَ سَوْفَ تَقْطَعُ بِالرَّأْيِ الْكَاسِدِ . فَتَقْتِي فِيكَ
كَبِيرَةً . »

سَأَلَهُ الْمُحَامِي : « هَلْ تُخْشَى أَنْ يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى اكْتِشَافِ مَكَانِهِ ؟ »
 أَجَابَهُ : « لَا ! لَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أَقُولَ إِنِّي مُهْتَمٌّ بِمَا يَخْذُلُ لَهَايِدَ . لَقَدْ
 قَطَعْتُ صِلَتِي بِهِ إِلَى الْأَبَدِ . إِنْ مَا يَهْمُنِي هُوَ شَخْصِي ، فَقَدْ عَرَضَنِي هَذَا
 الْمَوْقِفُ الْبَغِيضُ إِلَى مَا لَا أُحِبُّ . »

إِسْتَفْرَقَ أَيْزَسُونُ فِي الْتَفْكِيرِ لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ وَأَذْهَشَتْهُ أَتَانِيَةُ صَدِيقِهِ ، وَإِنْ
 كَانَ قَدْ شَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِرْتِيَاحِ لِذَلِكَ . قَالَ آخِرًا : « أَرِنِي الْخِطَابَ . »

كَانَ الْخِطَابُ مَكْتُوبًا بِحَظِّ رَأْسِي غَرِيبٍ ، وَمَحْتَوًمَا بِتَوْقِيعِ إِذْوَارْدَ
 هَايِدَ . وَكَانَ مُخْتَصَرًا ، وَجَاءَ فِيهِ أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ آلاَفِ الْمُسَاعَدَاتِ الَّتِي
 لَقِيَهَا مِنْ صَدِيقِهِ جِيكِيلَ فَإِنَّهُ - أَيُّ هَايِدَ - لَمْ يُقَابِلِ إِلَّا إِخْسَانَ إِلَّا بِالْإِسَاءَةِ .
 وَقَالَ إِنَّهُ عَلَى الْكَثُورِ جِيكِيلَ إِلَّا يَفْلُقَ عَلَى سَلَامَةِ صَدِيقِهِ هَايِدَ ، لِأَنَّ لَدَيْهِ
 وَسِيلَةً لِلْهَرَبِ لِاتَّخِيبٍ . وَقَدْ أَرْتَاخَ الْمُحَامِي لِهَذَا الْخِطَابِ أَرْتِيَاخًا كَبِيرًا
 لِأَنَّهُ جَعَلَ لِلصَّدَاقَةِ بَيْنَهُمَا صِبْغَةً أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الصَّبْغَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي
 مُحْيَلَتِهِ . لِهَذَا أَخَذَ يَلُومُ نَفْسَهُ عَلَى تِلْكَ الشُّكُوكِ الَّتِي كَانَتْ تُسَاوِرُهُ فِيمَا
 مَضَى .

ثُمَّ سَأَلَ الْكَثُورَ جِيكِيلَ : « هَلْ ظَرَفَ الْخِطَابِ مَعَكَ ؟ »

أَجَابَهُ جِيكِيلَ : « لَقَدْ أَخْرَقْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَفْكَرَ فِيمَا أَفْعَلُهُ بِهِ . وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ
 عَلَى الظَّرْفِ أَيُّ حَائِمٍ بَرِيدٍ ، إِذْ إِنْ الْخِطَابَ قَدْ سَلَّمَ بِالْيَدِ . »

سَأَلَهُ أَيْزَسُونُ : « هَلْ لِي أَنْ أُحْفِظَ بِهَذَا الْخِطَابِ لِأَنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى بَعْضِ
 الْوَقْتِ لِأَفْكَرَ فِيهِ ؟ »



أجابهُ : « أَرْجُوكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ نِيَابَةً عَنِّي بِصُورَةٍ كَامِلَةٍ . فَقَدْ فَقَدْتُ نَفْسِي فِي نَفْسِي . »

قَالَ الْمُحَامِي : « حَسَنًا ، سَوْفَ أَفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ . وَالْآنَ لَدَيَّ سُؤَالٌ آخَرُ . هَلْ كَانَ هَايِدُ هُوَ الَّذِي أُمِلَّى شُرُوطَ الْوَصِيَّةِ وَذَكَرَ الْبَنْدَ الْخَاصَّ بِالْإِخْتِفَاءِ ؟ »
بَدَأَ الطَّبِيبُ وَكَأَنَّمَا قَدْ أُصِيبَ بِإِغْمَاءَةٍ مُفَاجِئَةٍ ، وَأَطْبَقَ فَمَهُ ثُمَّ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ مُوَافِقًا .

قَالَ ابْنُ سُوْنٍ : « كُنْتُ أَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ يَتَوَى أَغْنِيَاكَ . إِنَّكَ نَجَوْتَ بِأَعْجُوبَةٍ . »

رَدَّ عَلَيْهِ الطَّبِيبُ : « لَقَدْ حَصَلْتُ عَلَى مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ . لَقَدْ أَخَذْتُ دَرْسًا ، وَيَا لَهُ مِنْ دَرْسٍ يَا ابْنُ سُوْنٍ ! » ثُمَّ غَطَّى وَجْهَهُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ .

تَوَقَّفَ مِسْتَرُ ابْنُ سُوْنٍ لِيَتَحَادَثَ مَعَ هُوُولٍ . قَالَ لَهُ : « بِالْمُنَاسَبَةِ يَا هُوُولُ ، لَقَدْ جَاءَ شَخْصٌ لِيُسَلِّمَ خِطَابًا آلِيَوْمَ ، فَمَا كَانَ شَكْلُ هَذَا الشَّخْصِ ؟ » لَكِنَّ هُوُولَ أَكَّدَ أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ أَيُّ خِطَابَاتٍ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْبَرِيدِ .

عِنْدَمَا سَمِعَ الْمُحَامِي ذَلِكَ غَادَرَ الْمَكَانَ وَقَدْ تَجَدَّدَتْ مَخَافَتُهُ . لَا بُدَّ أَنْ هَذَا الْخِطَابَ قَدْ جَاءَ مِنْ بَابِ الْمَعْمَلِ ، بَلْ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ قَدْ كُتِبَ دَاخِلَ الْمَعْمَلِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ مِنْ زَاوِيَةٍ جَدِيدَةٍ وَأَنْ يَمْنَعَ التَّفَكُّيرَ فِي أَمْرِهِ . وَآتَيْنَاهُ سِتْرَهُ كَانَ بَاعَهُ الْأَصْحَفُ يَصِيحُونَ فِي الْأَشْوَارِجِ : « مُلْحَقٌ خَاصٌّ ! الْإِغْنِيَا الْفَظِيعُ لِأَحَدِ أَعْضَاءِ الْبَرِّلْمَانِ ! »

كَانَتْ تِلْكَ الْكَبِيبَاتُ تَنْعِي أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ وَعُمَلَائِهِ . وَكَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ الْمَقْبَرَةِ مَصِيرُ السَّمْعَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهَا صَدِيقُهُ وَأَحَدُ عُمَلَائِهِ . إِنَّ الْقَرَارَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهُ قَرَارٌ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ وَلِهَذَا بَدَأَ يَشْعُرُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْمَشُورَةِ .

بَعْدَ فِتْرَةٍ كَانَ أُتْرُسُونُ جَالِسًا إِلَى جَانِبِ مَدْفَائِهِ ، وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ كَانَ الْكَيْدُ غِسْتُ مُدِيرِ مَكْتَبِهِ . وَكَانَتْ نَارُ الْكَدْفَةِ قَدْ بَعَثَتْ الدَّفْعَ فِي الْغُرْفَةِ فَبَدَأَ أُتْرُسُونُ يَشْعُرُ بِالرُّغْبَةِ فِي الْحَدِيثِ مَعَ غِسْتُ الَّذِي يَضَعُ فِيهِ ثِقَتَهُ وَلَا يُخْفِي عَنْهُ مِنْ أَسْرَارِهِ إِلَّا الْتَائِدَ مِنْهَا . وَكَانَ غِسْتُ يَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِ الطَّيِّبِ كُلَّمَا اقْتَضَتْ ظُرُوفُ الْعَمَلِ .

وَهُوَ يَعْرِفُ طُورَ وَلَا بُدَّ أَنَّهُ سَمِعَ عَنْ مِسْتَرِ هَايدَ وَكَثْرَةِ ذَهَابِهِ إِلَى مَنْزِلِ الطَّيِّبِ . أَلَا يَجْعَلُهُ هَذَا يَظُنُّ الظُّنُونُ بِالطَّيِّبِ ؟

أَلَيْسَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يُرِيَهُ أُتْرُسُونُ الْخِطَابَ الَّذِي سَيُلْقِي ضَوْءًا يَكْشِفُ ذَلِكَ الْغُمُوضَ ؟ وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ غِسْتُ حَصِيفَ الرَّأْيِ ، وَلَنْ يَقْرَأَ مِثْلَ هَذَا الْخِطَابِ الْقَرِيبِ دُونَ أَنْ يَتَّيِدَ مُمَاطَةً مَا ، وَرُبَّمَا كَانَ لِهَذِهِ الْمُمَاطَةِ أَثَرٌ فِي تَوَجُّهِ أُتْرُسُونِ نَحْوِ الطَّرِيقِ الَّذِي يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَسْلُكَهُ .

قَالَ الْمُحَامِي : « يُخْزِنُنِي مَا حَدَّثَ لِسِيرِ دَانِفِرْز . »

قَالَ غِسْتُ : « إِنَّهُ لَا مَرَّ مُحَرِّزٌ حَقًّا ، وَقَدْ أَثَارَ الشُّعُورَ الْعَامَّ إِثَارَةً كَبِيرَةً . وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ أَنْ الْفَاتِلَ شَخْصٌ مَجْنُونٌ . »

أَجَابَهُ أْتِرْسُون : « أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ رَأْيَكَ . لَدَيَّ هُنَا خِطَابٌ مَكْتُوبٌ
بِخَطِّ يَدِهِ - هَذَا الْأَمْرُ سِرٌّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ - وَأَنَا فِي خَيْرَةٍ مَاذَا أَفْعَلُ بِهِ ؟ إِنْ
الْمَوْضُوعُ كُلُّهُ بَغِيضٌ إِلَى نَفْسِي ، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أُوَاجِهَهُ . هَئِنَذَا أَجِدُ أَمَامِي
رِسَالَةً بِخَطِّ مُجْرِمٍ قَاتِلٍ . »

لَمَعَتْ عَيْنَا غِسْتٍ وَجَلَسَ عَلَى أَلْتَوِّ يَدْرُسُ الْخِطَابَ بِتَوَدَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ :
« لَا يَا سَيِّدِي ، لَيْسَ مَجْنُونًا وَلَكِنْ خَطُّهُ غَرِيبٌ . »

قَالَ أْتِرْسُون : « وَكَاتِبُهُ غَرِيبٌ أَيْضًا دُونَ شَكِّ . » وَفِي بَلِّكَ أَلَلْخَطَّةُ
دَحَلُ الْخَادِمِ وَمَعَهُ رِسَالَةٌ .

فَسَأَلَ غِسْتٌ : « هَلْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ مِنْ دُكْتُور جِيكِلِ يَا سَيِّدِي ؟ أَغْتَفِدُ
أَنْيَ أَعْرِفُ خَطُّهُ . هَلْ تَدُورُ حَوْلَ مَوْضُوعٍ خَاصٍّ ؟ »

أَجَابَ الْمُحَامِي : « لَا ، مُجَرَّدُ دَعْوَةٍ إِلَى الْعِشَاءِ . لِمَاذَا تَسْأَلُ ؟ هَلْ تُرِيدُ
أَنْ تُقْرَأَهَا ؟ »

أَجَابَ غِسْتٌ : « أُرِيدُ أَنْ أَلْقِيَ نَظْرَةً عَلَيْهَا إِذَا سَمَحْتَ . شُكْرًا ! »

اتَّخَذَ غِسْتُ الرِّسَالَةَ ثُمَّ وَضَعَ الرِّسَالَتَيْنِ أَمَامَهُ ، وَرَاحَ يُقَارِئُهُمَا بِعِنَايَةٍ .
وَأَخِيرًا أَعَادَ الرِّسَالَتَيْنِ لِأْتِرْسُون قَائِلًا : « أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدِي ! إِنَّ الْخَطُّ
مُثِيرٌ لِلْاهْتِمَامِ لِلْعَاقِبَةِ . »

اعْقَبَتْ ذَلِكَ فِتْرَةٌ صَمِيَتْ كَانَ أْتِرْسُونُ خِلَالَهَا فِي صِرَاحٍ دَاخِلِيٍّ ، ثُمَّ سَأَلَ
غِسْتٌ فَجْأَةً : « لِمَاذَا قَارَأْتَ الرِّسَالَتَيْنِ يَا غِسْتُ ؟ »

أَجَابَ : « هُنَاكَ يَا سَيِّدِي تَشَابُهُ غَرِيبٌ بَيْنَ الْخَطِّينِ فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْتَوَاحِي ، وَالْخِلَافُ الْوَاحِدُ بَيْنَهُمَا فِي دَرَجَةِ انْحِنَاءِ حُرُوفِهِمَا . »

قَالَ أَيْزَسُون : « هَذَا شَيْءٌ غَرِيبٌ . »

قَالَ غِسْتُ : « نَعَمْ يَا سَيِّدِي ! هُوَ غَرِيبٌ كَمَا تَقُولُ . »

قَالَ أَيْزَسُون : « أَفْضَلُ الْأَتَّخِيرَ أَحَدًا بِهَذَا الْخِطَابِ . »

قَالَ غِسْتُ : « أَفْهَمُ ذَلِكَ يَا سَيِّدِي ، وَلَنْ أُخِيرَ أَحَدًا . »

مَا إِنَّ أَنْفَرَدَ أَيْزَسُونُ بِنَفْسِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّى وَضَعَ الْخِطَابَ فِي خَزِينَتِهِ
حَيْثُ ظَلَّ فِيهَا مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ : « مَا الَّذِي حَدَّثَ ؟ هَلْ قَامَ
هِنْرِي جِيكِلَ بِعَمَلِيَّةٍ تَزْوِيرٍ مِنْ أَجْلِ قَاتِلِ ؟ » وَجَرَى الدَّمُ بَارِدًا فِي عُرْوِقِهِ .

حادثة الدكتور لايزون العجيبة

مَرَبْتُ الْأَيَّامَ وَعُرِضَتْ مُكَافَأَةٌ قِيَمَتُهَا آلاَفُ الْجُنَيْهَاتِ لِمَنْ يُرْشِدُ إِلَى الْقَاتِلِ . وَلَكِنْ هَايِدَ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ وَكَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وُجُودٌ قَطُّ . وَبَدَأَ النَّاسُ يَتَنَاقَلُونَ أَحْدَاثَ مَاضِيهِ ، وَكَانَتْ جَمِيعُهَا أَحْدَاثًا مُحْجِلَةً ؛ فَكَثِيرًا مَا تَحَدَّثُوا عَنْ قِظَاطِيهِ وَقَسَوِيهِ ، وَعَنْ أَسْلُوبِ حَيَاتِهِ الْدَلِيءِ ، وَرِفَاقِهِ ذَوِي الْأَطْوَارِ الْغَرِيبَةِ ، وَعَنِ الْكِرَاهِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تُحِيطُ بِهِ . وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ شَيْئًا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ ، فَمَنْدُ أَنْ غَادَرَ هَايِدَ مَنْزِلَهُ فِي سُوهُو يَوْمٍ حَادِثَةِ الْأَغْيِيَالِ أَخْتَفَى تَمَامًا .

أَمَّا بِسْتَرِ أُرْسُون فَقَدْ بَدَأَ يَسْتَرْدُّ هُدُوءَهُ بِصُورَةٍ تَذَرِيجِيَّةٍ بَعْدَ حَالَةِ الدُّعْرِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَلَمَّتْ بِهِ . وَبَدَأَ خَيَالُهُ بِصُورٍ لَهُ أَنْ أَخْتَفَاءَ هَايِدَ قَدْ عَوَّضَ مَقْتَلَ سِيرِ دَانْفِرَز ، وَأَنْ دُكْتُور جِيكِل سَوْفَ تُكْتَبُ لَهُ حَيَاةٌ جَدِيدَةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْتَحَسِرَ عَنْهُ ذَلِكَ التَّأثيرُ السَّيِّئُ لِهَايِدَ عَلَيْهِ . وَبَدَأَ الدُّكْتُورُ جِيكِل يُغَادِرُ مَنْزِلَهُ بِانْتِظَامٍ أَكْثَرَ ، وَجَدَّدَ عِلَاقَاتِهِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ ، وَأَخَذَ يَتَرَاوَرُ مَعَهُمْ وَيَتَسَامَرُ . وَإِذَا كَانَ قَدْ عَرِفَ مِنْ قِلِّ بِمُسَاهَمَاتِهِ الْخَيْرِيَّةِ الْعَدِيدَةِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ الْآنَ مَعْرُوفًا كَذَلِكَ بِمَبْذُولِهِ الدِّينِيَّةِ الْمَتَمِّمَةِ . وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ أَنْهَمَاكًا فِي الْعَمَلِ ، وَأَكْثَرَ خُرُوجًا إِلَى الْخَلَاءِ ، وَقِيَامًا بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ . وَبَدَأَ وَجْهُهُ وَقَدِ انْبَسَطَ وَانْفَرَجَتْ أَسَارِيرُهُ ، وَظَلَّ فِي رَاحَةٍ نَفْسِيَّةٍ لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ .

فِي الثَّامِنِ مِنْ يَنَآيِرِ ثَنَاوَلِ أُرْسُونِ طَعَامَ الْعِشَاءِ مَعَ الطَّبِيبِ ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ

صَغِيرَةٍ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ - وَكَانَ لاثِيُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ . وَخِلَالِ أَجْمَاعِهِمْ كَانَ جِيكِيل يُعَبِّرُ عَنْ خَالِصِ الْمَوَدَّةِ وَالْحُبِّ وَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ صَدِيقِي إِلَى صَدِيقِي كَعَهْدِهِ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ .

لَكِنْ حَدَّثَ فِي الثَّانِي عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ نَفْسِهِ أَنَّ أَغْلَقَ الطَّبِيبُ بَابَهُ دُونَ صَدِيقِهِ الْمُحَامِي ، وَقَالَ هُوَ : « إِنَّ الطَّبِيبَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى مُغَادَرَةِ الْبَيْتِ ، وَلَيْسَ فِي وَسْعِهِ أَنْ يُقَابَلَ أَحَدًا . » وَحَاوَلَ أَيْرِسُونُ مُقَابَلَةَ جِيكِيلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ وَلَكِنْ جِيكِيلَ رَفَضَ مُقَابَلَتَهُ أَيْضًا . وَلِأَنَّ أَيْرِسُونَ قَدْ اعْتَادَ رُؤْيَةَ صَدِيقِهِ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِيبًا خِلَالِ الشَّهْرَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ فَقَدْ بَدَأَ يَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ وَالْقَلَقِ .

وَفِي اللَّيْلَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ دَعَا غِسْتُ لِيَتَنَاوَلَ الْعِشَاءَ مَعَهُ ، أَمَّا فِي اللَّيْلَةِ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى دُكْتُورِ لاثِيُونَ وَهُنَاكَ قُوِيَ بِالْتَّرْحَابِ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا دَخَلَ الْمَنْزِلَ شَعَرَ بِصَدْمَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَمَا لَاحَظَ مَا طَرَأَ عَلَى مَظْهَرِ صَدِيقِهِ مِنْ تَغْيِيرٍ . لَقَدْ بَدَأَ وَكَانَهُ رَجُلٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ . فَقَدْ شَحِبَ وَجْهُهُ الْوَرْدِيُّ ، وَهَزِلَ جَسَدُهُ ، وَبَدَأَ يُوضِجُ أَنَّ رَأْسَهُ أَكْثَرَ صَلَاعًا وَوَجْهُهُ أَكْثَرَ تَجْعِيدًا . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَكُنْ مَظَاهِرُ التَّدَهُّورِ الْجِنْسِيِّ تِلْكَ هِيَ الَّتِي أَقْلَقَتْ الْمُحَامِيَّ وَصَدَمَتْهُ ، بَلْ نَظَرَاتُ عَيْنَيْهِ وَطَرِيقَةُ تَصَرُّفَاتِهِ مِمَّا أَوْحَى بِوُجُودِ شَيْءٍ مَا فِي أَغْوَارِ نَفْسِهِ يُشِيرُ رُغْبَهُ وَفَرَعَهُ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَكُنْ مَبْعَثَ خَوْفِ الطَّبِيبِ . فَإِنَّ تَفْكِيرَ أَيْرِسُونِ قَدْ اتَّجَهَ هَذَا الْأَثْجَاهُ .

قَالَ لِنَفْسِهِ : « نَعَمْ ، إِنَّهُ طَيِّبٌ وَنَعْرِفُ حَالَتَهُ الصَّحِيَّةَ كُلَّ الْمَعْرِفَةِ ، وَإِنْ
 أَيَّامُهُ قَدْ أَصْبَحَتْ مَعْدُودَةً ، وَلَيْسَ فِي وَسْعِهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ ذَلِكَ . » لَكِنْ عِنْدَمَا
 أَشَارَ أَتْرُسُونُ إِلَى مَا لَاحَظَهُ مِنْ مَظَاهِيرِ اخْتِلَالِ صِحَّةِ صَدِيقِهِ رَدَّ عَلَيْهِ لَاتِيُونُ
 بِأَنَّهُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ . قَالَ : « لَقَدْ أَصِيبْتُ بِصَدْمَةٍ لَنْ أُلْجُو
 مِنْهَا . إِنْ أَلَأَمْتُ لَنْ يَغْدُوَ بِضَعَّةَ أُسَابِيْعَ . لَقَدْ كَانَتْ الْحَيَاةُ سَارَّةً وَكُنْتُ
 أُحِبُّهَا ! نَعَمْ يَا سَيِّدِي كُنْتُ أُحِبُّهَا ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ لَوْ
 أَنَا عَرَفْنَا كُلَّ شَيْءٍ لَسَرْنَا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ . »

قَالَ أَتْرُسُونُ : « إِنْ جِيكِلَ مَرِيضٌ أَيْضًا ، هَلْ رَأَيْتَهُ ؟ »

تَجَهَّمُ وَجْهَ الطَّبِيبِ وَرَفَعَ يَدَهُ الْمُرْتَعِشَةَ قَائِلًا : « إِنِّي لَا أَرْحَبُ بِأَنْ أَرَى
 أَلَدُ كُثُورِ جِيكِلَ أَوْ أَسْمَعُ شَيْئًا عَنْهُ . إِنْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الشَّخْصِ قَدْ أَنْفَقَ صَمَ
 أَنْفِصَامًا كَامِلًا ، وَأَرْجُو مِنْكَ أَلَّا تُدْفَعَنِي إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ رَجُلٍ أُغْتَبِرُهُ
 مَيِّتًا . »

تَعَجَّبَ الْمُحَامِي لِهَذَا الْكُرْدِ ، ثُمَّ سَأَلَ بَعْدَ فِتْرَةٍ صَمْتٍ : « هَلْ فِي وَسْعِي
 أَنْ أَقُومَ بِشَيْءٍ ؟ نَحْنُ الْثَلَاثَةُ نَرْبُطُنَا صَدَاقَةٌ قَدِيمَةً ، وَلَنْ يَمْتَدَّ بِنَا الْعُمُرُ لِنُكُونَ
 صَدَاقَاتٍ جَدِيدَةً . »

أَجَابَ لَاتِيُونُ : « لَيْسَ مِنَ الْمُحْمَكِينَ عَمَلُ شَيْءٍ . سَلِّهُ . »

قَالَ أَتْرُسُونُ : « إِنَّهُ يَرْفُضُ لِقَائِي . »

رَدَّ لَاتِيُونُ قَائِلًا : « إِنْ تَصَرَّفَهُ هَذَا لَا يُدْهِشُنِي . رُبَّمَا نَعْرِفُ مُسْتَقْبَلًا يَا

أُتْرُسُون ، بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ ، مَا بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ خَطَأٍ وَصَوَابٍ . لَيْسَ فِي وَسْئِي أَنْ أُخْبِرَكَ الْآنَ . وَفِي نَفْسِي الْوَقْتُ إِذَا كَانَ فِي إِمْكَانِكَ أَنْ تُجْلِسَ وَتَتَحَدَّثَ مَعِي فِي مَوْضُوعٍ آخَرَ فَاجْلِسْ . أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْئِكَ أَنْ تَتَجَنَّبَ الْحَدِيثَ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْمَلْعُونِ فَاسْتَخْلِفْكَ بِاللَّهِ أَنْ تَذْهَبَ ، فَلَيْسَ فِي إِمْكَانِي أَنْ أُخْتِمَلَ الْحَدِيثَ فِيهِ . »

مَا إِنْ وَصَلَ أُتْرُسُون إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى كَتَبَ خِطَابًا إِلَى جِيكِل يَشْكُو مِنْ عَدَمِ السَّمَاحِ لَهُ بِلِقَائِهِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ هَذَا الْخِلَافِ الْبَغِيضِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَاثِيُونِ

فِي آيَوْمِ الثَّلَاثِي تَلَقَّى رَدًّا طَوِيلًا عَلَى خِطَابِهِ ، وَكَانَ زَاخِرًا بِعِبَارَاتِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ ، وَيَشُوبُهُ قَدَرٌ مِنَ الْعُمُوضِ . جَاءَ فِي الْخِطَابِ :

« إِنْ مَا حَدَثَ مِنْ خِلَافٍ بَيْنِي وَبَيْنَ لَاثِيُونِ لَا عِلَاجَ لَهُ . وَأَنَا لَا أُلُومُ صَدِيقِي لَاثِيُونِ ، وَلَكِنِّي أُوَافِقُهُ عَلَى رَأْيِهِ بِأَنْ عَلَيْنَا أَلَّا تَلْتَقِيَ أَبَدًا بَعْدَ ذَلِكَ . وَأَنَا أَتُوي مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا أَنْ أَعِيشَ فِي غُزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ ، وَعَلَيْكَ أَلَّا تَشْعُرَ بِاللَّذْهَشَةِ لِهَذَا الْقَرَارِ ، أَوْ تَشْكُ فِي صَدَاقَتِي وَمَوَدَّتِي نَحْوَكَ إِذَا أَنَا أَغْلَقْتُ بَابِي دُونَ النَّاسِ بَلْ دُونَكَ أَيْضًا . وَعَلَيْكَ أَنْ تَدْعَنِي أَسِيرُ فِي طَرِيقِي الْمُظْلِمِ هَذَا . فَقَدْ جَلَبْتُ لِنَفْسِي مِنَ الشَّرُورِ وَالْأَخْطَارِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى تَوْضِيحِ حَقِيقَتِهِ لَكَ . وَلَكِنْ أَقُولُ إِذَا كُنْتُ أَكْبَرَ الْمُذْنِبِينَ ، فَنَا أَيْضًا أَكْثَرُ النَّاسِ مُعَانَةً وَأَلْمًا . وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ فِي هَذَا الْعَالَمِ إِنْسَانًا آخَرَ يُعَانِي مِثْلَ هَذِهِ الْمُعَانَةِ وَهَذَا الْفَرْجِ . وَلَيْسَ فِي وَسْئِكَ إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا وَاحِدًا يَا أُتْرُسُون كَيْ تَحْقِفَ مِنْ أَلْمِي وَهُوَ أَلَّا تُسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ . »

دِهش اترسون من هذا الخطاب . فَمُنْدُ اسْبوع واحد فقط كان التأثير السبي لهايد قد انزاح ، وكان الطيب قد عاد إلى سابق صداقاته وأعماله ، وابتسمت له الدنيا ، ولاحت تباشير عهد من المسرة والبشر . أما الآن فقد تحطمت في لحظة واحدة كل مظاهر الصداقة وراحة البال . بل إن حياة صديقه ذاتها قد أصبحت معرضة للانهايار . إن مثل هذا التغير الكبير غير المتوقّع إنما يشير إلى أن صديقه قد أصيب بالجنون ، ولكن كلمات لاثيون وتصرّفاتِه عندما أشار إلى هذا الموضوع تفيدان بأن السبب أعمق من مجرد الجنون .

لازم لاثيون فراشه بعد أسبوع ، ثم لفظ نفسه الأخير بعد مرور حوالي أسبوعين . وفي الليلة التي أغقبت الجنازة (وكان اترسون خلالها في غايه التأثير) أغلق اترسون باب مكتبه عليه ، وجلس في ضوء شمعة ، وأخرج من خزينته ظرفاً مكتوباً بخط صديقه المتوفى ومحتوماً بخائمه . وكان على الظرف تعليمات واضحة تقول : « خاص : ليد السيد ج . اترسون وحده - وفي حالة وفاته يُحرق دون قراءته . »

شعر المحامي بالخوف مما يخويه هذا الظرف وقال في نفسه : « لقد فنت اليوم صديقاً وأحشى أن يكلّفني هذا صديقاً آخر . » ولكنه تراجع عن خوفه هذا معتبراً إيّاه عَدَمَ وفاء لذكرى صديقه ، ثم فضّ الظرف فوجد بداخله ظرفاً آخر مكتوباً عليه : « لا يفتح إلا عند موت دكتور هنري جيكل أو أخفائه . »

لَمْ يُصَدِّقْ أْتْرَسُون عَيْنِيهِ . نَعَمْ ، إِنَّ عَلَى الظَّرْفِ كَلِمَةً « آخِتِفَائِيهِ » . كَمَا فِي الْوَصِيَّةِ اللَّعِينَةِ الَّتِي كَانَ قَدْ أَعَادَهَا مِنْذُ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ إِلَى صَاحِبِهَا . وَهَا هُوَ ذَا يَرَى الْآنَ كَلِمَةَ « آخِتِفَائِيهِ » مَقْرُونَةً بِأَسْمِ هِنْرِي جِيكِيل . مَا مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْآنَ وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ بِيَدِ لَاثِيُون ؟ وَجَعَلَهُ الْفَضُولُ يُفَكِّرُ فِي أَنْ يَتَجَاهَلَ تَعْلِيمَاتِ صَدِيقِهِ لَاثِيُون ، وَأَنْ يَغُوصَ فِي الْحِلَالِ إِلَى أَعْمَاقِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ . وَلَكِنْ شَرَفُهُ كَمُحَامٍ وَلَا عَاقِلٍ لِيَذْكُرَ صَدِيقَهُ مَنَعَاهُ مِنْ أَنْ يُنْفَذَ مَا هَمَّ بِهِ . وَظَلَّتِ الْأَوْرَاقُ رَاقِدَةً فِي أَقْصَى رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْخَزِينَةِ .

مِنْ الْمَشْكُوكِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ أْتْرَسُون قَدْ شَعَرَ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْسِ الرُّغْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تُدْفَعُهُ مِنْ قَبْلِ لَأَنَّ يَلْتَقِيَ بِجِيكِيل . لَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ فِيهِ بِقَدْرِ مِنَ الْعَطْفِ ، وَلَكِنْ بَشْيَاءٌ مِنَ الْقَلَقِ وَالْخَوْفِ أَيْضًا . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ ذَهَبَ لِرِيزَارْتِهِ وَلَكِنَّهُ شَعَرَ بِالْإِزْتِياجِ عِنْدَمَا رَفَضَ جِيكِيلَ لِقَاءَهُ . وَلَعَلَّ أْتْرَسُون - فِي قَرَارِهِ نَفْسِهِ - كَانَ يُفَضِّلُ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ يُولِ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ . وَلَمْ تُكُنِ الْأَخْبَارُ الَّتِي يُقَدِّمُهَا يُولِ سَارَةً ، ذَلِكَ أَنَّ الطَّبِيبَ زَادَ مِنْ بَقَائِهِ فِي غُرْفَتِهِ الصَّغِيرَةِ فَوْقَ الْمَعْمَلِ حَيْثُ كَانَ يَنَامُ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . وَكَانَ مَهْمُومًا ، دَائِمَ الصَّنِيتِ لَا يَقْرَأُ كَعَادَتِهِ . وَبَدَأَ أَنْ تَمَّةَ شَيْئًا يُقْلِقُهُ . وَاعْتَادَ أْتْرَسُونُ سَمَاعَ هَذِهِ التَّقَارِيرِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ فِي مَضْمُونِهَا مِمَّا جَعَلَهُ يُقَلِّلُ تَذَرُّبِهَا مِنْ زِيَارَتِهِ

ما حَدَّثَ عِنْدَ النَّافِذَةِ

ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآحَادِ كَانَ أُتْرُسُونُ يَقُومُ بِنَزْهِتِهِ الْمُعْتَادَةِ بِصُحْبَةِ
إِنْفِيلِدَ ، وَمَرًّا بِالطَّرِيقِ الْجَانِبِيِّ . وَعِنْدَمَا وَصَلَا أَمَامَ الْبَابِ تَوَقَّفَا وَأَخَذَا
يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ .

قَالَ إِنْفِيلِدَ : « حَسَنَ ، لَقَدْ أُسِيدَلِ الْسِتَارُ أَخِيرًا عَلَى تِلْكَ الْقِصَّةِ ، وَلَكِنْ
نَرَى مِسْتَرِ هَايدَ مَرَّةً أُخْرَى . »

قَالَ أُتْرُسُونُ : « أَمَلْتُ ذَلِكَ .. هَلْ سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ لَكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ذَاتَ
يَوْمٍ ؟ لَقَدْ شَعَرْتُ بِمَا شَعَرْتَ أَنْتَ بِهِ مِنْ أَشْجِيزٍ . »

قَالَ إِنْفِيلِدَ : « مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَرَاهُ دُونَ أَنْ يَتَنَبَّكَ الشُّعُورُ نَفْسَهُ . لَا بُدَّ
أَنَّكَ تَعَجَّبْتَ مِنْ غَبَائِي إِذْ لَمَّيْ لَمْ أُدْرِكْ أَنَّ هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْخَلْفِيُّ الْمُوَدِّي إِلَى
مَنْزِلِ الدُّكْتُورِ جِيكِيل . إِنَّكَ السَّبَبُ فِي اكْتِشَافِي هَذَا الطَّرِيقِ الْخَلْفِيِّ . »

قَالَ أُتْرُسُونُ : « مَا دُمْتُ قَدْ اكْتُشِفَتْ ذَلِكَ فَهِيََا بِنَا نَدْخُلُ الْفِنَاءَ وَنُلْقِي
نَظْرَةً عَلَى تَوَالِيفِ الْمَبْتَى ، فَالْقَلَقُ فِي الْحَقِيقَةِ يُسَاوِرُنِي بِشَأْنِ جِيكِيلِ
الْمِسْكِينِ . وَأَشْعُرُ أَنَّ وُجُودَ صَدِيقِي لَهُ ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ ،
سَيَكُونُ فِي مَصْلَحَتِهِ . »

كَانَ الْفِنَاءُ بَارِدًا وَرَطْبًا بَعْضَ الْكُثْيِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ
صَافِيَةً تَنَلُّهَا فِيهَا شَمْسُ الْغُرُوبِ . وَكَانَتْ النَّافِذَةُ الْوُسْطَى نِصْفَ مَفْتُوحَةٍ



وَيَجْلِسُ بِجَوَارِهَا دُكْتُور جِيكِل ، وَقَدْ بَدَأَ مِثْلَ سَجِينٍ أُخِذَ بِهِ الْحَزَنُ كُلُّ مَا أُخِذَ .

قَالَ لَهُ أَتْرُسُون صَائِحًا : « أَنِي جِيكِل ، إِنِّي وَاثِقٌ أَنَّكَ بِخَيْرٍ . »
أَجَابَهُ الطَّبِيبُ بِفُتُورٍ : « أَنَا فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ لِلْغَايَةِ يَا أَتْرُسُون .. سَيِّئَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَلَكِنْ لَنْ يَطْوُلَ بِي هَذَا الْحَالُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . »

قَالَ لَهُ الْمُحَامِي : « إِنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ الْبَقَاءِ دَاخِلَ الْبَيْتِ ، عَلَيْكَ أَنْ تَخْرُجَ وَتَنْتَزِعَ كَمَا أَفْعَلُ أَنَا وَإِنْفِيلِد . هَذَا هُوَ مِسْتَرِ إِنْفِيلِدَ قَرِيبِي يَا دُكْتُور جِيكِل .
تَعَالِ مَعَنَا الْآنَ . الْبَسْ قُبْعَكَ وَتَنْتَزِعْ مَعًا . »

تَنَهَّدَ الطَّبِيبُ وَقَالَ : « إِنَّكَ طَيِّبُ الْقَلْبِ لِلْغَايَةِ . كَمْ كَانَ يُوَدِّي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا ، لَا ، لَا ! هَذَا مُسْتَحِيلٌ ! لَسْتُ أَجْرُو عَلَى ذَلِكَ . وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ يَا أَتْرُسُون أَنَا سَعِيدٌ كُلُّ السَّعَادَةِ بِرُؤْيَاكَ ، إِنَّ سُرُورِي بِرُؤْيَاكَ كَبِيرٌ . وَكَانَ يُوَدِّي أَنْ أَذْعُوكَ وَمِسْتَرِ إِنْفِيلِدَ لِلدُّخُولِ لَكِنْ الْمَكَانَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ . »

رَدَّ عَلَيْهِ الْمُحَامِي بِرَحَابَةِ صَدْرِ قَائِلًا : « إِذَا فَخِئْرٌ مَا يُمَكِّنُ عَمَلُهُ هُوَ أَنْ يَبْقَى هُنَا وَتَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ . »

قَالَ الطَّبِيبُ مُبْتَسِمًا : « هَذَا مَا كُنْتُ أَوْشِكُ أَنْ أَقْرِحَهُ . » وَلَكِنْ مَا كَادَتْ الْكَلِمَاتُ تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ حَتَّى اخْتَفَتِ الْبَسْمَةُ وَبَدَتْ مَلَامِيحُ فَرْعٍ وَيَأْسٍ عَنيفَيْنِ أَرْتَعَدَ لَهَا أَتْرُسُون وَزَمِيلُهُ . وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَرَا هَذِهِ الْمَلَامِيحَ إِلَّا

لِلْحُظَةِ وَاجِدَةٍ ، إِذْ سَرَّعَانَ مَا أُغْلِقَتِ الْتَأْفِذَةُ فَقَفَلَا رَاجِعَيْنِ وَغَادَرَا الْفَنَاءَ دُونَ
 أَنْ يَتَفَقَّهَ بِكَلِمَةٍ وَاجِدَةٍ . وَسَارَا صَامِتَتَيْنِ عَبْرَ الشَّارِعِ الْفَرْعِيِّ وَلَمْ يَتَبَادَلَا
 الْنَظْرَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ وَصَلَا إِلَى الشَّارِعِ الْمُجَاوِرِ حَيْثُ كَانَتِ الْحَيَاةُ تُدْبُ حَتَّى فِي
 أَيَّامِ الْآحَادِ . لَقَدْ شَحَبَ وَجْهَاهُمَا ، وَكَانَتْ أُعْيُنُهُمَا تُعْبِرُ عَنْ فَرْعٍ شَدِيدٍ .

قَالَ أَتْرُسُون : « سَامَحْنَا اللَّهَ ، سَامَحْنَا اللَّهَ . »

أَمَّا إِنْفِيلِدُ فَقَدْ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ ، وَوَاصَلَ سَيْرَهُ صَامِتًا .

اللَّيْلَةُ الْآخِرَةُ

كَانَ أُتْرُسُونُ جَالِسًا بِجِوَارِ الْمِدْفَاءِ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَمَا جَاءَ يُوُولُ لِيُزَارِئَهُ مِمَّا
أَثَارَ دَهْشَتَهُ فَمَصَّاحَ قَائِلًا : « مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ يَا يُوُولُ ؟ مَاذَا وَرَاءَكَ ؟
هَلِ الطَّبِيبُ مَرِيضٌ ؟ »

أَجَابَهُ يُوُولُ : « إِنَّ بِالْأَمْرِ شَيْئًا يَا سَيِّدُ أُتْرُسُونُ . »

فَقَالَ لَهُ الْمُحَامِي : « تَفْضَّلْ بِالْجُلُوسِ وَأَشْرَبْ هَذِهِ الْكَأْسَ مِنَ الْعَصِيرِ .
وَالآنَ قُلْ لِي بِوُضُوحٍ مَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ، وَلَا تَتَعَجَّلْ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى
الْعَجَلَةِ . »

قَالَ يُوُولُ : « أَنْتَ تَعْرِفُ عَادَاتِ الدُّكْتُورِ يَا سَيِّدِي ، وَكَيْفَ يُغْلِقُ
الْبَابَ عَلَيْهِ وَيُظَلُّ حَبِيسَ غُرْفَتِهِ . حَبَسَ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْمَعْمَلِ ، وَهَذَا
أَمْرٌ لَا أَرْتَاحُ لَهُ . إِنِّي خَائِفٌ يَا سَيِّدُ أُتْرُسُونُ . »

قَالَ الْمُحَامِي : « أَيُّهَا الرَّجُلُ الطَّبِيبُ ، قُلْ لِي بِوُضُوحٍ مَا الَّذِي
يُخِيفُكَ ؟ »

رَدَّ يُوُولُ قَائِلًا : « لَقَدْ آعَتَرَانِي الْخَوْفُ مُنْذُ حَوَالِي أُسْبُوعٍ ، وَكَيْسَ فِي
وُسْعِي أَنْ أَتَقَى عَلَى هَذَا الْوَضْعِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . »

وَكَانَتْ مَلَاحِظُ الرَّجُلِ تُعَبِّرُ بِوُضُوحٍ عَنْ مَشَاعِيرِهِ تِلْكَ ، إِذْ أَرَادَ فَلَقَهُ
وَأَرْتَبَاكُهُ وَلَمْ يَنْظُرْ فِي وَجْهِ أُتْرُسُونِ إِلَّا عِنْدَمَا أُعْلِنَ عَنْ مَشَاعِيرِ الْفَرَجِ الَّتِي

كَانَ يُحْسِنُ بِهَا . وَظَلَّ جَالِسًا ، وَفِي يَدِهِ كَأْسُ الْعَصِيرِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا رَشْفَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ شَايِخٌ بِبَصَرِهِ إِلَى رُكْنِ الْغُرْفَةِ مُرَدِّدًا قَوْلَهُ : « لَيْسَ فِي وَسْمِي أَنْ أُحْتَمِلَ هَذَا الْوَضْعَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . »

قَالَ لَهُ الْمُحَامِي : « هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا بُرُول . لَئِنِّي أَرَى أَنَّكَ عَلَى صَوَابٍ ، وَأَنَّ هُنَاكَ خَطَأٌ جَسِيمًا . حَاوِلْ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهِ . »

قَالَ بُرُولُ بِصَوْتٍ يَخْتَفُّهُ الْخَوْفُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ جَرِيْمَةً قَتَلِ . »

صَاحَ الْمُحَامِي وَقَدْ زَادَ قَلْقُهُ وَغَضَبُهُ : « جَرِيْمَةُ قَتَلِ ؟ أَيُّ جَرِيْمَةٍ قَتَلِ ؟
مَاذَا تُعْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟ »

فَاجَابَهُ قَائِلًا : « لَيْسَ فِي إِمْكَانِي أَنْ أَوْضِّحَ لَكَ ، وَلَكِنْ هَلَا جِئْتُ مَعِي لِتَرَى بِنَفْسِكَ ؟ »

كَانَ رَدُّ مِسْتَرِ أَيْرْسُونِ عَلَى ذَلِكَ الْإِسْرَاعِ بِالنَّهْوِ وَارْتِدَائِهِ مِغْطَفَهُ وَقُبْعَتَهُ . وَلَا حَظَّ وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَامَاتِ ارْتِيَاحٍ ظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِ بُرُولٍ إِذْ وَضَعَ كَأْسَ الْعَصِيرِ الَّتِي لَمْ يَشْرَبْ مِنْهَا شَيْئًا وَأَسْرَعَ وَرَاءَهُ .

عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ كَانَ الْجَوُّ عَاصِفًا مَلِيًّا بِالْغُبَارِ ، وَهُنَا تَوَقَّفَ بُرُولٌ — الَّذِي كَانَ يَسْبِقُ أَيْرْسُونُ بِخُطْوَةٍ أَوْ خُطْوَتَيْنِ — وَخَلَعَ مِغْطَفَهُ وَقُبْعَتَهُ بِرَغِمِ الْجَوِّ الْفَارِسِ ، وَأَخَذَ يُجَفِّفُ جَبْهَتَهُ بِمِنْدِيلٍ أَخْمَرَ . وَكَانَ وَجْهُهُ شَاجِبًا ، وَصَوْتُهُ أَجَشُّ مُضْطَرِّبًا . قَالَ : « هَا نَحْنُ أَوْلَاءُ قَدْ وَصَلْنَا يَا سَيِّدِي . أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَكُونَ قَدْ وَقَعَ مَكْرُوهٌ . »

قَالَ الْمُحَامِي : « أَتَمَنَّى ذَلِكَ يَا بُرُول . »

عِنْدَيْهِ طَرُقَ الْخَادِمُ الْبَابَ فِي حَذَرٍ ، فَأَنْفَتَحَ جُزْءٌ مِنْهُ ، وَجَاءَ صَوْتُ مَنْ
الَّذِيحِلْ يَسْأَلُ : « أَهَذَا أَنْتَ يَا بُرُول ؟ »

أَجَابَ بُرُولُ : « نَعَمْ أَنَا ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ . افْتَحُوا الْبَابَ . »
كَانَتْ الْكَافَّةُ عِنْدَمَا دَخَلَهَا أَيْزُسُونُ وَبُرُولُ مُضَاءَةً بِمَصَابِيحَ سَابِطَةٍ
وَكَانَتْ نَارُ الْبِدْفَاءَةِ مُتَوَهِّجَةً ، وَتَجَمَّعَ حَوْلَهَا كُلُّ خَدَمِ الْبَيْتِ . وَعِنْدَمَا رَأَتْ
إِخْدَى الْخَادِمَاتِ أَيْزُسُونُ أَنْفَجَرَتْ فِي بُكَاءٍ شَدِيدٍ ، وَصَاحَتْ الطَّاهِيَةُ قَائِلَةً :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ ! إِنَّهُ أَلَسَّيْدُ أَيْزُسُونُ . » ثُمَّ أَنْدَفَعَتْ لَحْوَهُ وَكَانَ ثَرِيدٌ أَنْ تَتَعَلَّقَ
بِهِ لِيُخَيِّمَهَا مِنْ مَكْرُوهٍ .

قَالَ لَهُمْ أَيْزُسُونُ : « مَا هَذَا ؟ هَلْ أَنْتُمْ هُنَا ؟ هَذَا شَيْءٌ غَرِيبٌ جِدًّا ، وَغَيْرُ
لَائِقٍ . سَوْفَ يَسْتَأْذِنُ سَيِّدُكُمْ لِذَلِكَ . »
قَالَ بُرُولُ : « إِنَّهُمْ جَمِيعًا خَائِفُونَ . » وَأَغْفَبَ ذَلِكَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ وَلَمْ
يُنْكِرْ أَحَدٌ خَوْفَهُ ، أَوْ يَقُلْ شَيْئًا بِاسْتِثْنَاءِ الْخَادِمَةِ الَّتِي وَاصَلَتْ بُكَاءَهَا بِصَوْتٍ
عَالٍ .

فَقَالَ لَهَا بُرُولُ فِي صَوْتٍ غَاضِبٍ يَنْمُ عَنْ قَلْبِهِ : « أَصَمْتِي أَيْتُهَا
الْكَافَّةُ . » وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ عِنْدَمَا بَدَأَتْ الْكَافَّةُ بُكَاءَهَا ، انْتَفَضُوا فَرَعًا ، وَانْجَبَها
نَحْوَ الْبَابِ الَّذِيحِلِّي وَعَلَى وُجُوهِهِمْ عِلَامَاتُ الْفَزَعِ . ثُمَّ أَتَجَّهَ بُرُولُ نَحْوَ
مُسَاعِدِ الطَّبَّاخِ قَائِلًا : « أَخْضِرْ لِي شَمْعَةً ، وَلْتُخْسِمِ الْأَمْرَ عَلَى الْفَوْرِ . » ثُمَّ
سَأَلَ أَيْزُسُونُ أَنْ يَتَّبِعَهُ ، وَسَارَ أَمَامَهُ إِلَى الْحَدِيقَةِ الَّذِيحِلِّيَّةِ . وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَا مِنْ
الْمَعْمَلِ قَالَ : « الْآنَ يَا سَيِّدِي أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَقْتَرِبَ دُونَ أَنْ تُحَدِّثَ أَيَّ

صَوْتٌ ، وَأَنْ تَسْمَعَ دُونَ أَنْ تُسْمَعَ . وَإِذَا حَدَثَ وَطَلَبَ مِنْكَ أَنْ تَدْخُلَ فَلَا تَدْخُلُ . »

كَاذِبُوتُونَ أَنْ يَفْقِدَ ثَمَاسُكُهُ ، وَلَكِنْ سَرَعَانَ مَا اسْتَجْمَعَ شَجَاعَتَهُ وَتَبِعَ
يُوبُولَ إِلَى الدَّرَجِ الْمُوَدِّيِّ لِلْمَعْمَلِ . وَهُنَاكَ أَشَارَ إِلَيْهِ يُوبُولُ أَنْ يَقِفَ إِلَى
جَانِبِ الدَّرَجِ وَيَسْتَمِعَ إِلَى مَا يَدُورُ مِنْ حَدِيثٍ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ وَضَعَ الشَّمْعَةَ
وَصَبَدَ الدَّرَجَ ثُمَّ طَرَقَ أَلْبَابَ بَيْتِ مُرْتَعِشَةِ قَائِلًا : « إِنَّ أَلْسَيْدَ أُتْرُسُونَ يُرِيدُ أَنْ
يَرَاكَ يَا سَيِّدِي . » وَكَانَ أَثْنَاءَ كَلَامِهِ يُشِيرُ بِحِدَّةٍ إِلَى أُتْرُسُونَ أَنْ يَرْتَهِفَ
أَلْسَمُ .

جَاءَ صَوْتُ مَنْ الدَّاخِلِ يَقُولُ : « قُلْ لَهُ لَنْ يُمَكِّنَنِي أَنْ أَرَى أَحَدًا . »
وَكَانَتْ تَبْرَأُ الصَّوْتِ تَنْمُ عَنِ الْحُزَنِ الشَّدِيدِ .

فَقَالَ يُوبُولُ بِنَبْرَةِ الْمُنتَصِرِ : « شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدِي . » ثُمَّ أَخَذَ الشَّمْعَةَ
وَقَفَلَ رَاجِعًا عَبْرَ الْفِنَاءِ إِلَى الْمَطْبَخِ الْكَبِيرِ ، حَيْثُ كَانَتْ النَّارُ قَدْ أَنْطَفَأَتْ ،
وَأَخَذَتْ بَعْضُ الْخَنَافِسي تَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ .

فَالَ يُوبُولُ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي عَيْنِي أُتْرُسُونَ : « سَيِّدِي ، هَلْ كَانَ هَذَا صَوْتُ
الَّذِي كُنْتُ ؟ »

أَجَابَهُ الْمُحَامِي : « يَبْدُو أَنَّهُ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرًا . » وَكَانَ الْمُحَامِي شَاحِبَ
الْوَجْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي عَيْنِي يُوبُولِ .

فَالَ يُوبُولُ : « تَقُولُ إِنَّهُ تَغَيَّرَ؟ حَسَنٌ ! هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدِي أَنَّهُ لَيْسَ فِي
وُسْعِي أَنْ أُمَيِّزَ صَوْتَ الرَّجُلِ الَّذِي خَدَمْتُهُ عِشْرِينَ سَنَةً ؟ لَا يَا سَيِّدِي . لَقَدْ

فَضِي عَلَى سَيِّدِي . لَقَدْ قَضَيْ عَلَيْهِ مُنْذُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ عِنْدَمَا سَمِعْنَاهُ يَصِيحُ
وَيَسْتَعِيْثُ بِاللهِ . وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا اللهَ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْقَائِعِ دَاخِلَ الْمَعْمَلِ بَدَلًا
مِنْ سَيِّدِي وَلِمَاذَا يَبْقَى هُنَاكَ . »

قَالَ لَهُ أَيْرَسُونُ وَهُوَ يَعْصُ إِصْبَعُهُ : « هَذَا أَنَّهُمْ غَرِيبٌ وَخَطِيرٌ يَا بُرَّوول !
لِنَفْرِضْ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا تَظُنُّ ، وَلِنَفْرِضْ أَنَّ الدُّكْتُورَ جِيكِيلَ قَدْ قُتِلَ ، فَمَا الَّذِي
يُغْيِرِي الْقَاتِلَ بِالْبَقَاءِ ؟ إِنَّ الْإِفْتِرَاضَ غَيْرَ مُنْطَقِيٍّ . إِنَّهُ لَا يُعْقَلُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ بُرَّوول قَائِلًا : « حَسَنَ يَا سَيِّدُ أَيْرَسُونُ ، سَوْفَ أَقْنِعُكَ عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ إِقْنَاعُكَ . فَلْتَعْلَمْ يَا سَيِّدِي أَنَّهُ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ الْأَمَاضِي ،
كَانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ أَوْ ذَلِكَ الْكَاتِبُ الَّذِي يَعِيشُ فِي الْمَعْمَلِ يَصِيحُ فِي الْكَلِيلِ وَفِي
الْهَارِ طَالِبًا نَوْعًا مِنَ الْعَقَّارِ دُونَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ . لَقَدْ اعْتَادَ سَيِّدِي فِي بَعْضِ
الْأَحْيَانِ أَنْ يَكْتُبَ لَنَا أَوْامِرَهُ وَيُلْقِي بِالْوَرَقَةِ عَلَى الدَّرَجِ . وَطَوَالَ الْأُسْبُوعِ
الْأَمَاضِي لَمْ نَحْصُلْ مِنْهُ إِلَّا عَلَى أَوْرَاقٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ دُونَ أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ .
وَكَانَتْ وَجَبَاتُ الطَّعَامِ تَتْرَكَ بِالْخَارِجِ ثُمَّ نُوْخَذُ إِلَى الدَّائِجِلِ خِلْسَةً دُونَ أَنْ
يَرَى ذَلِكَ أَحَدٌ . نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، لَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ أَوْامِرٌ مِنْ هَذَا النَّوْعِ كُلِّ
يَوْمٍ ، بَلْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَانَتْ تِلْكَ الْأَوْامِرُ تُصْدَرُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي
الْيَوْمِ الْوَاحِدِ ، وَكُنْتُ أُسْرِعُ بِهَا إِلَى كَافَّةِ صَيِّدِيَّاتِ الْمَدِينَةِ . كُنْتُ كُلَّمَا
أُجْضِرْتُ الْعَقَّارَ الْمَطْلُوبَ كَانَتْ تُصْدَرُ الْأَوْامِرُ بِإِزْجَاعِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَقِيٍّ ، وَبِأَنَّ
أَذْهَبَ إِلَى جِهَةِ أُخْرَى لِشِرَائِهِ . إِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى هَذَا الْعَقَّارِ مُلِحَّةٌ يَا سَيِّدِي
وَلَا أَذْهِي لِمَاذَا . »



سَأَلَهُ الْمُحَامِي : « أَلَدَيْكَ إِحْدَى هَذِهِ الْأَوْرَاقِ ؟ » فَبَحَثَ يُوُولُ فِي جَيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَ وَرَقَةً وَأَعْطَى الْمُحَامِي إِيَّاهَا ، فَبَدَأَ فِي فَحْصِهَا بِعِنَايَةٍ عَلَى ضَوْءِ الشَّمْعَةِ . وَكَانَ بِالْوَرَقَةِ مَا يَلِي :

« يَتَقَدَّمُ الدُّكْتُورُ جِيكِيلُ بِتَحِيَّتِهِ لِشَرِكَةِ مَوْ ، وَيُؤَكِّدُ لِلشَّرِكَةِ أَنَّ الْعَقَّارَ الَّذِي أُرْسَلَتْهُ لَهُ غَيْرُ نَقِيٍّ ، وَلِهَذَا فَلَيْسَتْ لَهُ أُيَّةُ فَائِدَةٍ . لَقَدْ اشْتَرَى الدُّكْتُورُ جِيكِيلُ فِي سَنَةِ - ١٨ كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنْ هَذَا الْعَقَّارِ مِنْ شَرِكَتِكُمْ ، وَهُوَ يَرْجُوكُمْ الْآنَ أَنْ تَبْحَثُوا بِكُلِّ عِنَايَةٍ عَنْ هَذَا الْعَقَّارِ النَّقِيِّ ، وَإِذَا وَجَدْتُمْ أُيَّةَ كَمِيَّةٍ مِنْهُ فَلْتُرْسِلُوهَا إِلَيْهِ عَلَى الْفَوْرِ مَهْمَا كَانَ ثَمَنُهَا . إِنَّ هَذَا الْعَقَّارَ ذُو أَهْمِيَّةٍ بِالِغَةِ لِلدُّكْتُورِ جِيكِيلُ . »

وَالِ هُنَا كَانَتْ لَهَجَةُ الْخِطَابِ مَعْقُولَةً وَلَكِنْ أَغْقَبَتْ ذَلِكَ بُفْعَةُ جَبْرِ ، وَانْطَلَقَتْ مَشَاعِرُ الْكَاتِبِ لِيَقُولَ : « بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ ، ابْحَثُوا لِي عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْعَقَّارِ الْقَدِيمِ . »

قَالَ أَيْزَسُون : « هَذِهِ رِسَالَةٌ غَرِيبَةٌ . ثُمَّ سَأَلَهُ بِحِدَّةٍ : « كَيْفَ حَصَلَتْ عَلَيْهَا مَفْتُوحَةٌ ؟ »

فَأَجَابَهُ يُوُولُ : « لَقَدْ غَضِبَ الْمَسْنُولُ فِي شَرِكَةِ مَوْ عِنْدَ قِرَائَتِهَا وَأَلْقَاهَا ثَانِيَةً إِلَيَّ كَمَا يُلْقِي شَيْئًا قَرَارًا . »

فَسَأَلَهُ الْمُحَامِي : « هَلْ تَشْكُ فِي أَنَّ هَذَا خَطُّ الطَّبِيبِ ؟ »

فَقَالَ الْخَادِمُ : « أَتَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُشَبِّهُهُ . وَلَكِنْ مَا قِيَمَةُ الْخَطِّ - لَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ . »

فَقَالَ ابْتَرَسُون : « رَأَيْتُهُ ؟ قُلْ لِي كَيْفَ ؟ »

فَأَجَابُ بِوَوَل : « كَانَ ذَلِكَ عَلَى الْتَحْوِ الْآتِي : دَخَلْتُ الْمَعْمَلُ فَجَاءَهُ مِنْ الْحَدِيقَةِ . وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَسَلَّلَ إِلَى الْخَارِجِ بِاجْتِنَاءٍ عَنْ هَذَا الْكَعْقَارِ ، أَوْ عَنْ أَيْ شَيْءٍ آخَرَ ، لِأَنَّ بَابَ غُرْفَتِهِ كَانَ مَفْتُوحًا ، وَرَأَيْتُهُ فِي أَقْصَى رُكْنٍ يُقَلَّبُ فِي الصَّنَادِيقِ وَيَتَحَتُّ فِيهَا . وَرَفَعَ نَظْرَهُ عِنْدَمَا دَخَلْتُ ثُمَّ أَطْلَقَ صَيْحَةً غَرِيبَةً ، وَانْدَفَعَ عَلَى الْكَدْرِجِ وَدَخَلَ غُرْفَتَهُ . لَقَدْ رَأَيْتُهُ لِمُدَّةٍ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ مُنْظَرُهُ فُظِيعًا أَقْشَعَرُّ لَهْ بَدَنِي . إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ سَيِّدِي فَلِمَاذَا كَانَ يَضَعُ قِنَاعًا عَلَى وَجْهِهِ ؟ إِذَا كَانَ سَيِّدِي فَلِمَاذَا أَطْلَقَ تِلْكَ الصَّيْحَةَ عِنْدَمَا رَأَى ، وَفَرَّ هَارِبًا مِنِّي كَالْفَأْرِ الْمَذْعُورِ ؟ لَقَدْ قُمْتُ بِخِدْمَتِهِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ ... » ثُمَّ تَوَقَّفَ الرَّجُلُ وَأَخَذَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ .

قَالَ مِسْتَرِ ابْتَرَسُون : « هَذِهِ مَلَابِسَاتٌ غَرِيبَةٌ ، وَلَكِنْ أَظُنُّ أَنَّ الْأُمُورَ قَدْ بَدَأَتْ تُتَضَيِّعُ لِي . مِنْ الْوَاضِحِ يَا بِوَوَل أَنَّ سَيِّدَكَ قَدْ أُصِيبَ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُؤَلِّمُ وَتُشَوِّهُ الْمَصَابِ بِهَا . وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مَا حَدَثَ مِنْ تَغْيِيرٍ فِي صَوْرَتِهِ وَمِنْ وَضْعِ الْقِنَاجِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَتَجَنُّبِ لِقَاءِ أَصْدِقَائِهِ . وَهَذَا أَيْضًا سَبَبٌ تَلَهُّفِهِ عَلَى ذَلِكَ الدَّوَاءِ الَّذِي يَأْمُلُ الْمُسْتَكِينُ عَنْ طَرِيقِهِ أَنْ يُحَقِّقَ الشِّفَاءَ . أَسْأَلُ أَلَلَهُ أَلَّا يُخَيِّبَ ظَنَّهُ - هَذَا هُوَ رَأْيِي . وَالْأَمْرُ مُخَوِّنٌ لِلْغَايَةِ يَا بِوَوَل وَفُظِيْعٌ حِينَ تُفَكِّرُ فِيهِ . وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ بَسِيطٌ وَطَبِيعِيٌّ وَيُفَسِّرُ لَنَا مَا حَدَثَ ، كَمَا يُفِينَا عَنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِنَا الْمَخَافُفُ وَالْأَوْهَامُ . »

قَالَ بِوَوَل وَقَدْ أَرَادَ وَجْهَهُ أَصْفَرَارًا : « يَا سَيِّدِي ، إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ ذَلِكَ

الْكَايْنِ الْقَايِعَ بِالْمَعْمَلِ لَيْسَ سَيِّدِي . إِنَّ سَيِّدِي ... » وَهَذَا نَظَرُ يُوُولِ حَوْلَهُ
وَبَدَأَ يَهْمِسُ قَائِلًا : « رَجُلٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ ، أَمَّا هَذَا فَقَدْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى
الْأَقْرَامِ . »

حَاوَلَ أَتْرَسُونُ مُقَاطَعَتَهُ ، وَلَكِنَّ يُوُولَ صَاحَ قَائِلًا : « هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدُ
أَتْرَسُونُ أَنِّي لَا أَعْرِفُ سَيِّدِي بَعْدَ أَنْ قُمْتُ بِخِدْمَتِهِ عِشْرِينَ سَنَةً ؟ هَلْ تَظُنُّ
أَنِّي لَا أَعْرِفُ طَوْلَ قَامَتِهِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَرَاهُ كُلَّ صَبَاحٍ طَوَالَ حَيَاتِي ؟ لَا
يَا سَيِّدِي ! إِنَّ ذَلِكَ الْكَايْنِ الَّذِي يَرْتَدِّي الْقِنَاعَ لَيْسَ الدُّكْتُورُ جِيكِيلُ إِطْلَاقًا .
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ الدُّكْتُورُ جِيكِيلُ أَبَدًا . وَإِنِّي أَعْتَقِدُ بِكُلِّ
وَجْدَانِي أَنَّ جَرِيْمَةَ قَتْلِ قَدْ حَدَثَتْ . »

أَجَابَهُ الْمُحَامِي قَائِلًا : « يَا يُوُولُ ! إِذَا كُنْتُ مُصِرًّا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَمِنْ
وَاجِبِي أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّتِهِ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ أُحَافِظَ عَلَى مَشَاعِيرِ
سَيِّدِكَ ، وَمِنْ أَنْ حَيَّرَنِي قَدْ أَزْدَادَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي تُفِيدُ بِأَنَّهُ مَا
زَالَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، إِلَّا أَنِّي أَرَى أَنْ نَقْتَحِمَ هَذَا الْبَابَ . »
فَصَاحَ يُوُولُ : « هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمُحَامِي : « وَالْآنَ نُوَاجِهُنَا مَسْأَلَةٌ ثَانِيَةٌ : مَنْ الَّذِي سَيَقُومُ
بِذَلِكَ ؟ »

أَجَابَهُ يُوُولُ بِشَجَاعَةٍ : « أَنَا وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي . »
قَالَ الْمُحَامِي : « هُكُنَا أَلْشَّجَاعَةُ ! وَمَهْمَا كَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ الْفَعْمَلِ
فَسَيَكُونُ مِنْ وَاجِبِي أَنْ أُجَنِّبَكَ أَيَّ ضَرَرٍ قَدْ يَلْحَقُ بِكَ . »



قال يُوول : « هناك بَلْطَة بِالْمَعْمَلِ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تُمَسِكَ بِهَذَا الْقَضِيْبِ
الْحَدِيدِي لِتُسْتَحْدِمَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ . »

فَأُمْسَكَ الْمُحَامِي بِذَلِكَ السَّلَاحِ الْبِدَائِي ، وَأَخَذَ يَزِيْهُ وَيُحَرِّكُهُ ثُمَّ قَالَ :
« أَ تَعْرِفُ يَا يُوُول أَنَّنَا نُوْشِكُ أَنْ نَضَعَ نَفْسِنَا فِي مَوْقِفٍ فِيهِ بَعْضُ
الْخُطُوْرَةِ ؟ »

فَقَالَ يُوُول : « هَذَا آحْتِمَالٌ قَائِمٌ يَا سَيِّدِي . »

قَالَ الْمُحَامِي : « لِهَذَا فَمَنْ الْأَفْضَلُ أَنْ نَكُونَ صَرَحَاءَ . نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ لَدَيْنَا
مِنْ الْأَفْكَارِ مَا لَمْ نُعْلِمْنَهُ . فَلْيَقُلْ كُلٌّ مِنَّا مَا عِنْدَهُ . مَاذَا عَنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ
الْمُقَنِّعِ الَّذِي رَأَيْتَهُ - هَلْ عَرَفْتَ مَنْ هُوَ ؟ »

أَجَابَ يُوُول : « فِي الْحَقِيقَةِ يَا سَيِّدِي أَنَّهُ أَنْصَرَفَ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَكَانَ
قَبْلَ أَنْصِرَافِهِ مُنْحَنِيًا يَنْحُتُ فِي الصَّنَادِيقِ مِمَّا جَعَلَنِي لَا أَتَّبِعُهُ . وَلَكِنْ إِذَا كُنْتُ
نَظُنُّ أَنَّهُ مِسْتَرُ هَايْدَ فَإِنِّي أُوَافِقُكَ . إِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِسْتَرُ هَايْدَ . فَقَدْ كَانَ لَهُ
نَفْسُ الْقَوَامِ ، وَنَفْسُ الْحَرَكَةِ الْخَفِيفَةِ ؛ وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَمَنْ غَيْرُهُ قَادِرٌ عَلَى
دُخُولِ الْمَنْزِلِ عَنْ طَرِيقِ بَابِ الْمَعْمَلِ . هَلْ نَسِيتَ يَا سَيِّدِي أَنَّ مِفْتَاحَ الْمَعْمَلِ
كَانَ مَعَهُ عِنْدَ وَقُوعِ حَادِثَةِ الْأَغْتِيَالِ ؟ وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا هُوَ كُلُّ مَا عِنْدِي . أَنَا
لَا أَغْرِفُ يَا سَيِّدُ أَتُرْسُونَ هَلْ قَابَلْتُ مِسْتَرَ هَايْدَ هَذَا ؟ »

أَجَابَ الْمُحَامِي : « نَعَمْ ، لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ . »

قَالَ يُوُول : « إِذَا لَا بُدَّ أَلَيْكَ تَعْرِفُ كَمَا نَعْرِفُ جَمِيعًا أَنَّ بِالرَّجُلِ شَيْئًا

غَرِيبًا - شَيْئًا يَصِدُّمُكَ . أَنَا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَصِيفُ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَقُولُ
إِنَّكَ تُحِسُّ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ بِقُشْعَرِيرَةٍ تَسْرِي فِي جَسَدِكَ . »

قَالَ أَيْزَسُون : « أَعْتَرِفُ بِأَنِّي أَحْسَسْتُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الَّذِي تَصِفُهُ . »

قَالَ يُوُول : « هَذَا صَحِيحٌ يَا سَيِّدِي ، فَعِنْدَمَا قَفَزَ ذَلِكَ الْكَائِنُ الْمُقَنَّعُ مِنْ
بَيْنِ صَنَادِيقِ الْكِيمَاوِيَّاتِ ، وَأَنْدَفَعَ كَالْقِرْدِ لِيَدْخُلَ الْحَجَرَةَ سَرَتْ تِلْكَ
الْقُشْعَرِيرَةُ بَارِدَةً كَالْتَلُجِّ فِي عِظَامِي . أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ دَلِيلًا كَافِيًا يَأْسِئُ
أَيْزَسُون ، فَلَدَيْي مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْقَانُونِيَّةِ مَا يَجْعَلُنِي أَعْرِفُ ذَلِكَ . وَلَكِنْ
لِلْإِنْسَانِ مَشَاعِيرُهُ ، وَأَنَا أَقْسِمُ لَكَ أَنَّهُ مُسْتَرٌ هَائِدٌ . »

فَقَالَ الْمُحَامِي : « إِنَّ مَخَاوِي تَأْخُذُ الْأَنْجَاهَ نَفْسَهُ . تِلْكَ الْعَلَاقَةُ الَّتِي
قَامَتْ عَلَى الْكُشْرِ لَنْ تُنْتِجَ إِلَّا شَرًّا . نَعَمْ ، فِي الْحَقِيقَةِ أَنَا أَصْدَقُكَ . وَاعْتَقِدْ أَنَّ
هِنْرِي الْيَسْكِينَ قَدْ قُتِلَ ، وَأَنَّ قَاتِلَهُ مَا زَالَ مُحْتَبَأً فِي غُرْفَتِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ
سَبَبَ اخْتِفَائِهِ فِيهَا . وَمِنْ الْأَوَاجِبِ عَلَيْنَا أَنْ نُمْسِكَ بِهِ . نَادِ بَرَادْشُو . »

جَاءَ الْخَادِمُ بَرَادْشُو مُلَبِّيًا الْكَدَاءَ ، وَكَانَ شَاخِبَ الْوَجْهِ يُرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ .

فَقَالَ لَهُ الْمُحَامِي : « تَمَالِكْ نَفْسَكَ يَا بَرَادْشُو . أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا
الْإِنْتِظَارَ قَدْ نَهَكَ أَغْصَابَكُمْ ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ الْآنَ أَنْ نَضَعَ حَدًّا لَهُ . سَقُومُ أَنَا
وَيُوُولُ بِأَقْبَحِهَا مِنْ هَذِهِ الْعُرْفَةِ . وَإِذَا سَارَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ فَسَوْفَ أُتَحَمَّلُ
أَنَا مَسْئُولِيَّةَ هَذَا الْعَمَلِ . وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَرِسَ خَشْيَةً أَنْ يَخْذُلَ خَطَأً ، أَوْ
يُحَاوَلُ الْمَجْرِمُ الْهَرَبَ مِنَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ . لِهُذَا فَعَلَيْكَ أَنْتَ وَالصَّبِيُّ أَنْ

تَذْهَبُ إِلَى الْخَلْفِ ، وَتَتَّخِذُ لَكُمَا مَوْقِعًا عِنْدَ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ لِلْمَعْمَلِ وَنَعَ كُلُّ
مِنْكُمَا عَصًا غَلِيظَةً . وَلَدَيْكُمَا عَشْرُ دَقَائِقَ لِتَذْهَبَا إِلَى هُنَاكَ . »

وَنَظَرَ الْمُحَامِي فِي سَاعَتِهِ عِنْدَ أَنْصِرَافِ بَرَادْشُو ثُمَّ قَالَ : « وَالآنَ فَلْنَذْهَبْ
نَحْنُ إِلَى مَوْقِعِنَا يَا بُول . » وَأَخَذَ الْقَضِيبَ الْحَدِيدِيَّ تَحْتَ إِبْطِهِ ، ثُمَّ سَارَ
أَمَامَ بُولٍ مُتَجِّهًا نَحْوَ الْمَعْمَلِ غَيْرِ الْفِنَاءِ . وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى هُنَاكَ جَلَسَا
صَامِتَيْنِ يَنْتَظِرَانِ . وَكَانَ ضَجِيجُ لَنْدَنَ يَصِلُ خَافِقًا مِنْ حَوْلِهِمَا ، وَلَا يَقْطَعُهُ
إِلَّا وَقَعَ أَقْدَامُ تَسِيرُ جَنِيَّةَ وَذَهَابَا دَاخِلَ غُرْفَةِ الْمَعْمَلِ .

فَهَمَسَ بُولُ : « هُكَذَا سَتَسْتَمِرُّ هَذِهِ الْأَقْدَامُ فِي السَّيْرِ طَوَالَ الْيَوْمِ ،
وَالْجُزْءُ الْأَكْبَرُ مِنَ اللَّيْلِ . وَلَنْ تَتَوَقَّفَ إِلَّا عِنْدَمَا يَصِلُ عَقَارُ جَدِيدٍ مِنْ
الْصِّدْلِيِّ . إِنَّهُ الضَّمِيرُ الْقَلْبِيُّ الَّذِي لَا يَسْتَرِيحُ . آه يَا سَيِّدِي ، إِنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ
مِنْ هَذِهِ الْخُطَوَاتِ مُلَطَّخَةٌ بِالْدَّمَاءِ ، وَلَكِنْ أَسْتَمِعُ جَيِّدًا وَقُلْ لِي يَا سَيِّدُ
أَتُرْسُونُ : هَلْ هَذَا هُوَ وَقَعَ أَقْدَامِ الدُّكْتُورِ جِيكِيل ؟ »

كَانَ وَقَعَ الْأَقْدَامِ خَفِيفًا وَغَرِيًّا ، وَكَأَنَّهُ وَقَعَ أَقْدَامُ شَخْصٍ أُعْزَجَ يَسِيرُ
بِطَّيْءٍ . وَلِهَذَا فَقَدْ كَانَ يَخْتَلِفُ دُونَ شَكٍّ عَنْ وَقَعَ أَقْدَامِ الدُّكْتُورِ جِيكِيلِ
الَّذِي كَانَ وَقَعًا ثَقِيلًا صَاحِبًا .

تَنَهَّدَ أَتْرَسُونُ وَسَأَلَ بُولُ : « هَلْ عِنْدَكَ دَلِيلٌ آخَرُ ؟ »

أَوَّمًا بُولُ بِالْإِجَابِ وَقَالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُهُ ذَاتَ مَرَّةٍ يَتَكَبَّرُ . »

فَقَالَ الْمُحَامِي : « يَتَكَبَّرُ ؟ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ » وَأَحْسَ بِقُشْعْرِيرَةِ بَارِدَةٍ
تُسْرِي فِي جِسْمِهِ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ يُوُول : « يَيْكِي كَأَنَّهُ أَمْرَاءُ ، أَوْ كَأَنَّهُ شَخْصٌ ضَلَّ طَرِيقَهُ فِي
الْحَيَاةِ . لَقَدْ كَانَ هَذَا شُعُورِي عِنْدَمَا سَمِعْتُهُ يَيْكِي ، وَأَوْشَكْتُ أَنْ أَبْكِي أَنَا
أَيْضًا . »

كَانَتْ الدَّقَائِقُ الْعَشْرُ قَدْ آتَتْهُتْ فَأَخْرَجَ يُوُول الْبَلْطَةَ مِنْ تَحْتِ كَوْمَةِ مَنْ
الْقَشِّ الْمُسْتَحْدَمِ فِي ثَعْبَةِ الصَّنَادِيقِ ، وَوَضَعَ الشَّمْعَةَ عَلَى أَقْرَبِ مِنْصَدَةٍ كَتَى
تَنْبِيرَ لَهْمَا الطَّرِيقِ لِلْهُجُومِ ، ثُمَّ اقْتَرَبَ أُتْرُسُونُ وَ يُوُولُ بِأَنْفَاسٍ مُتَهَدِّجَةٍ مِنْ
ذَلِكَ الْبَابِ الْمَعْلَقِ الَّذِي كَانَتْ رَأَتْهُ تِلْكَ الْخُطُواتُ تُرْوَحُ جَيِّعَةً وَذَهَابًا فِي
هَذَاهُ اللَّيْلِ .

صَاحَ أُتْرُسُونُ بِصَوْتٍ عَالٍ : « جِيكِل ! أُرِيدُ أَنْ أَرَاكَ . » ثُمَّ تَوَقَّفَ
لَحْظَةً وَلَكِنْ لَمْ يَحْظَ بِأَيِّ رَدٍّ فَوَاصَلَ صِيَاخَهُ : « أَنَا أُبْذِرُكَ . نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنْ
شَيْئًا مَا قَدْ حَدَثَ وَيَجِبُ أَنْ أَرَاكَ ، وَسَوْفَ أَرَاكَ لَا مُحَالَةَ . وَإِذَا لَمْ يَتِمَّ
ذَلِكَ بِالطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فَسَيَتِمُّ بِالطَّرِيقِ غَيْرِ الصَّحِيحِ . إِذَا لَمْ يَتِمَّ بِرِضَاكَ
فَسَيَكُونُ بِالْقُوَّةِ الْغَاشِمَةِ . »

رَدَّ عَلَيْهِ الصَّوْتُ قَائِلًا : « أُتْرُسُون ! بِاللهِ عَلَيْكَ ، اِرْحَمْنِي . »
فَقَالَ أُتْرُسُونُ : « آوْ ! لَيْسَ هَذَا صَوْتُ جِيكِل ! إِنَّهُ صَوْتُ هَايد !
فَلْنَحْطِمْ الْبَابَ يَا يُوُول . »

فَرَفَعَ يُوُولُ الْبَلْطَةَ عَالِيًا ، ثُمَّ ضَرَبَ الْبَابَ بِعُنْفٍ فَاهْتَزَّ الْمَبْنَى مِنْ تَأْثِيرِ
ضَرْبَتِهِ ، وَارْتَجَّ الْبَابُ لِشِدَّتِهَا ، وَدَوَّتْ مِنْ دَاخِلِ الْحُجْرَةِ صَنِحَةٌ مُرْعِبَةٌ
وَكَأَنَّهَا صَنِحَةٌ وَخَشٍ خَائِفٍ . ثُمَّ ارْتَفَعَتِ الْبَلْطَةُ مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً



وَأَرْتَجُّ أَلْبَابُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ . وَلَكِنَّ الْخَشَبَ كَانَ مِنَ التَّنَوُّعِ الْقَوِيِّ ،
وَالْمُقَصَّلَاتِ مِنَ التَّنَوُّعِ الْمُتَمَازِ . وَفِي الْضَّرْبَةِ الْخَامِسَةِ انْكَسَرَ الْقِفْلُ وَسَقَطَ
حُطَامُ أَلْبَابٍ دَاخِلَ الْغُرْفَةِ .

عِنْدِيذٍ تَرَجَعَ الْمُهَاجِمَانِ قَلِيلًا ، وَقَدْ أَذْهَلَهُمَا الْعُنْفُ الَّذِي اسْتَحْدَمَاهُ
وَالْهُدُوءُ الَّذِي أَغْقَبَ عَمَلِيَّةَ اقْتِحَامِ أَلْبَابٍ ، وَنَظَرَا دَاخِلَ الْغُرْفَةِ . هَاهِيَ ذِي
الْغُرْفَةِ هَادِثَةٌ فِي ضَوْءِ الْبَصْبَاجِ ، وَنَارُ الْمِدْفَاةِ مُشْتَعِلَةٌ وَإِبْرِيْقُ الشَّايِ يُرْسِلُ
أَزْيَرَهُ الْخَافِتَ ، وَهُنَاكَ دُرُجٌ أَوْ دُرُجَانِ مُفْتَوَحَانِ ، وَبَعْضُ الْأَوْرَاقِ مُرْتَبَةٌ
بِعِنَايَةٍ عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، وَإِلَى جِوَارِ الْمِدْفَاةِ كَانَتْ الْأَدَوَاتُ جَاهِزَةً لِإِعْدَادِ
الشَّايِ . وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّهَا كَانَتْ أَهْدَأَ غُرْفَةٍ فِي لَنْدُنَ ، وَأَكْثَرَهَا تَنَسُّيْفًا
وَنِظَامًا .

وَفِي وَسَطِ الْغُرْفَةِ كَانَتْ جُثَّةُ رَجُلٍ مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ ، فَاقْتَرَبَا مِنْهُ عَلَى
أَطْرَافِ أَصَابِعِهِمَا ، وَقَلْبَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ . فَرَأَيَا وَجْهَ إِدْوَارْدِ هَايدَ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ
أَمَارَاتُ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ . لَقَدْ كَانَ مُرْتَدِّيًا مَلَايِسَ وَاسِعَةً جِدًّا عَلَيْهِ .. مَلَايِسَ فِي
حَجْمِ الْكَثُورِ جِيكِلَ . وَكَانَتْ قَسَمَاتُ وَجْهِهِ تَبْدُو وَكَأَنَّهَا حَيَّةٌ ، وَلَكِنَّ
الْحَيَاةَ كَانَتْ قَدْ فَارَقَتْ الْجَسَدَ . وَأَذْرَكَ إِيْرُسُونُ — عِنْدَمَا رَأَى الْقَارُورَةَ
الْمَكْسُورَةَ فِي يَدِ الْجُثَّةِ الْمُلْقَاةِ ، وَشَمَّ الرَّائِحَةَ الْقَوِيَّةَ دَاخِلَ الْغُرْفَةِ — أَنَّهُ يَنْظُرُ
إِلَى جُثَّةِ رَجُلٍ قَدْ انْتَحَرَ .

قَالَ : « لَقَدْ جِئْنَا مُنْأَخَرِينَ سِوَاءِ أَكُنَّا نُرِيدُ الْإِنْقَازَ أَوْ الْعِقَابَ . لَقَدْ ذَهَبَ
هَآئِدَ إِلَى حَيْثُ يَلْقَى حِسَابُهُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَجِدَ جُثَّةَ سَيِّدِكَ . »
وَبَدَأَ يَفْخَصَانِ الْمَكَانَ بِكُلِّ عِنَايَةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ أُمِّي غُرْفَةٍ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَكْثَرِ

مِنْ نَظَرِهِ وَاحِدَةٍ ، إِذْ إِنَّ جَمِيعَ الْغُرَفِ كَانَتْ خَالِيَةً وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ الْعُبَارِ الَّذِي نَسَاقَطَ عِنْدَ فَتْحِ أَبْوَابِهَا أَنَّهَا ظَلَّتْ مُعَلَّقَةً لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ . وَلَمْ يَجِدَا فِي أَيِّ مَكَانٍ أَيُّ أَثَرٍ لِهَنْرِي جِيكِل حَيًّا أَوْ مَيِّتًا .

دَقَّ پُورِل بِقَدَمِهِ أَرْضَ الْغُرْفَةِ وَأَنْصَتَ ثُمَّ قَالَ : « لَا بُدَّ أَنَّهُ مَذْفُونٌ

هُنَا . » قَالَ أَيْرِسُونُ : « أَوْ رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ هَرَبَ . » وَأَتَجَهَّ لِيَنْفَحَصَ الْبَابَ الْمَوْدِّيَ إِلَى الشَّارِعِ الْجَانِبِيِّ . لَكِنَّ الْبَابَ كَانَ مُغْلَقًا ، وَعِنْدَمَا بَحَثَا إِلَى جَوَارِهِ وَجَدَا الْمِفْتَاحَ وَقَدْ عَلَاهُ الصَّدَأُ ، فَقَالَ الْمُحَامِي : « يَبْدُو أَنَّ هَذَا الْمِفْتَاحَ لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْذُ زَمَنٍ . »

قَالَ پُورِل : « أَلَا تَرَى يَا سَيِّدِي أَنَّهُ مَكْسُورٌ ، كَمَا لَوْ كَانَ شَخْصٌ قَدْ دَاسَ عَلَيْهِ فَكَسَرَهُ ؟ »

قَالَ الْمُحَامِي : « آه ، هَذَا صَحِيحٌ ! وَالْمِفْتَاحُ مُعْطَى بِالصَّدَأِ . »

تَبَادَلَا الرَّجُلَانِ نَظْرَةً فِيهَا خَوْفٌ وَقَلَقٌ ، ثُمَّ وَاصَلَ أَيْرِسُونُ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « إِنِّي لَا أَفْهَمُ شَيْئًا يَا پُورِل ، فَلْتَرْجِعْ إِلَى غُرْفَةِ الْمَعْمَلِ . »

صَعِدَا الدَّرَجَ فِي صَمْتٍ وَبَدَا يَنْفَحَصَانِ مُحتَوَاتِ الْغُرْفَةِ بِدَقَّةٍ أَكْبَرَ وَهُمَا يَنْظُرَانِ إِلَى الْكُتَّةِ الْمُلَقَاةِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ وَفَيْتٍ لِأَخَرٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَرْعِ . وَكَانَ عَلَى إِحْدَى الْمَنَاضِيدِ بَقَايَا بَعْضِ الْمَوَادِّ الْكِيمَاوِيَّةِ ، وَمَقَادِيرُ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَادَّةٍ بَيْضَاءَ وَضِعَتْ فِي أَطْبَاقٍ رُجَاجِيَّةٍ صَغِيرَةٍ .

قَالَ پُورِل : « هَذَا هُوَ الْعَقَّارُ نَفْسُهُ الَّذِي كُنْتُ أَذْهَبُ دَائِمًا لِإِخْضَارِهِ

لَهُ . وَعِنْدَيْدُ أُحْدِثَ لِإِبْرِيقُ الشَّائِي صَوْنًا مُفَاجِئًا يَسْبَبُ غَلِيَانِ أَلْمَاءِ فِيهِ مِمَّا وَجَّهَ
 اتَّبَاهُمَا إِلَى الْمِدْفَاءِ ، حَيْثُ كَانَ قَدْ أُعِدَّ كُرْسِيٌّ وَثِيْرٌ وَوُضِعَتْ أَدَوَاتُ إِعْدَادِ
 الْكُشَائِ إِلَى جَوَارِهِ . وَكَانَ السُّكَّرُ مَوْضُوعًا فِي الْفُنْجَانِ . وَكَانَ عَلَى أَحَدِ
 الْكُرُوفِ عَدَدٌ مِنَ الْكُتُبِ ، وَكَانَ هُنَاكَ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ بِجَوَارِ أَدَوَاتِ الشَّائِي .
 وَقَدْ ذَهَبَ أَتْرَسُونُ عِنْدَمَا وَجَدَ أَحَدَ الْكُتُبِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي كَانَ جِيكِلُ مُعْجَبًا
 بِهَا ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَى هَوَامِشِ الْكِتَابِ عِبَارَاتُ كُفْرٍ وَالْحَادِ مَكْتُوبَةٌ بِحُطِّ
 جِيكِلُ نَفْسِهِ .

إِثْجَهَتْ أَنْظَارُهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمِرَآةِ الطَّوِيلَةِ ، وَشَاهَدَا ، وَقَدْ اسْتَبَدَّ
 بِهِمَا الرَّعْبُ ، مَا تَعَكَّسَهُ أَعْمَاقُ الْمِرَآةِ مِنْ صُورٍ . وَكَانَتِ الْمِرَآةُ مَوْضُوعَةً
 بِحَيْثُ لَا تَعَكِّسُ إِلَّا وَجْهَيْهِمَا الشَّاحِبَيْنِ ، وَالسِّنَةَ الْلَّهْبَ الْوَرْدِيَّ وَهِيَ
 تَتَرَاوَعُ فِي الْمِدْفَاءِ وَتَتَعَكِّسُ فِي صُورٍ وَأَشْكَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَى الْوُجُوهِاتِ
 الرَّجَاجِيَّةِ لِخَزَائِنِ الْعَفَاقِيرِ .

فَمَسَ بُرُولُ قَائِلًا : « لَقَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمِرَآةَ أَحْدَاثًا غَرِيبَةً يَا سَيِّدِي . »

قَالَ الْمُنْحَامِي : « لَيْسَ هُنَاكَ أَغْرَبُ مِنْهَا ذَاتَهَا ! مَاذَا كَانَ يُرِيدُ جِيكِلُ ؟ »
 وَهُنَا أَصَابَتْهُ رِغْدَةٌ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ صَدِيقِهِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَجَمَعَ شَجَاعَتَهُ وَوَاصَلَ
 حَدِيثَهُ قَائِلًا : « مَاذَا كَانَ يُرِيدُ جِيكِلُ عِنْدَمَا جَاءَ بِهَا إِلَى هُنَا . »

قَالَ بُرُولُ : « هَذَا هُوَ السُّؤَالُ ! »

إِثْجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَكْتَبِ الدُّكْتُورِ جِيكِلُ فَوَجَدَا أَكْوَامًا مِنَ الْأَوْرَاقِ
 الْمُرْتَبَةِ بِعِنَايَةٍ ، وَعَلَيْهَا ظَرْفٌ كَبِيرٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُ أَتْرَسُونِ بِحُطِّ الطَّبِيبِ

نَفْسِهِ . فَضَّ الْمُحَامِي الظَّرْفَ وَتَسَاقَطَ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ عَدَدٌ مِنَ الْمُرْفَقَاتِ ، وَكَانَ أَوَّلُهَا وَصِيَّةً مَكْتُوبَةً بِنَفْسِي الشَّرْوَطِ الْعَرَبِيَّةِ وَالَّتِي كَانَ أُتْرَسُونُ قَدْ أَعَادَهَا إِلَى الطَّبِيبِ مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَلَكِنْ مَكَانَ اسْمِ إِدْوَاردِ هَايْدَ قَرَأَ الْمُحَامِي - وَعَيْنَاهُ لَا تُصَدِّقَانِ مَا يَرَى - اسْمَ غَابِرِيلَ جُونِ أُتْرَسُونِ ، فَنَظَرَ إِلَى يُوُولِ ثُمَّ إِلَى الْوَصِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَأَخِيرًا إِلَى جُثَّةِ الرَّجُلِ الْمُمَدَّدَةِ عَلَى الْبَسَاطِ .

قال : « إِنَّ رَأْسِي تَدُورُ . لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مَعَهُ كُلِّ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَلَيْسَ مِنْ سَبَبٍ يَدْعُوهُ لِأَنْ يُجِيبَنِي . وَلَا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ شَعَرَ بِالْغَضَبِ الشَّدِيدِ لِتَهْجُمِي عَلَيْهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يُمَزِّقْ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ . »

وَأَمْسَكَ الْمُحَامِي بِثَانِيَةِ الْمُرْفَقَاتِ . لَقَدْ كَانَتْ رِسَالَةٌ مُحْتَضِرَةٌ بِحُطِّ الطَّبِيبِ وَفِي أَغْلَاهَا تَارِيخُهَا . فَقَالَ يُيُوُولُ صَابِحًا : « يُوُولُ لَقَدْ كَانَ سَيِّدُكَ حَيًّا وَفِي هَذِهِ الْعُرْفَةِ الْيَوْمَ . لَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ . لَا بُدَّ أَنَّهُ مَا يَزَالُ حَيًّا . لَا بُدَّ أَنَّهُ هَرَبَ . وَلَكِنْ لِمَاذَا يَهْرُبُ ؟ وَكَيْفَ يَهْرُبُ ؟ وَإِذَا قُلْتُ إِنَّهُ هَرَبَ فَهَلْ يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ إِنَّ هَايْدَ قَدْ أَتَنَحَرَ ؟ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ فِي مُنْتَهَى الْحَذَرِ ، وَلَا جَلْبَنًا عَلَى سَيِّدِكَ شَرًّا مُسْتَطِيرًّا . »

فَسَأَلَهُ يُوُولُ : « لِمَاذَا لَا تَقْرَأُ الرَّسَالَةَ يَا سَيِّدِي ؟ »

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمُحَامِي فِي لَهْجَةٍ جَافَةٍ قَائِلًا : « لِأَنِّي أَخْشَى مَا فِيهَا . أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَكُونَ هُنَاكَ دَاعٍ لِهَذَا الْخَوْفِ . » ثُمَّ قَرَّبَ الْوَرَقَةَ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَرَأَ مَا عَلَى :

« عزيزي أترسُون ،

عندما تَقَعُ هَذِهِ الْوَرَقَةُ فِي يَدِكَ سَأَكُونُ قَدْ اخْتَفَيْتُ فِي ظُرُوفٍ لَيْسَ فِي
وُسْعِي أَنْ أَتَكَهَّنَ بِهَا . وَلَكِنَّ مَشَاعِرِي وَالظُّرُوفَ الْمُحِيطَةَ بِمَوْقِفِي الْغَرِيبِ
هَذَا تَجْعَلُنِي أَقُولُ إِنَّ النِّهَايَةَ آتِيَةٌ لَا مَحَالَةَ وَإِنَّهَا قَدْ دَنَتْ . اذْهَبْ وَاقْرَأِ الْقِصَّةَ
الَّتِي قَالُ لِي لَا تُيُونُ إِنَّهُ سَوْفَ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْكَ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْرِفَ الْمَزِيدَ
فَاقْرَأْ اعْتِرَافَاتِ صَدِيقِكَ الْبَائِسِ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ صَدَاقَتَكَ .

هنري جيكل

قال أترسُون : « لَقَدْ كَاتَبَ الْمُرَفَقَاتُ ثَلَاثًا ، فَأَيُّنَ الثَّلَاثَةِ ؟ »

أَجَابَهُ بُولُ : « هَا هِيَ ذِي يَاسِيدِي . » وَأَعْطَاهُ رِبْطَةً مَخْتومةً فِي عِدَّةِ
أَمَاكِنَ . فَوَضَعَهَا الْمُحَامِي فِي جَيْبِهِ قَائِلًا : « لَا تُقْلُ شَيْئًا عَنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ .
إِذَا كَانَ سَيِّدُكَ هَرَبَ أَوْ قُتِلَ فَفِي وَسْعِنَا - عَلَى الْأَقْلَ - أَنْ نَحْفَظَ عَلَى
سَمْعِنَا . إِنَّ السَّاعَةَ آلَانَ الْعَاشِرَةَ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْبَيْتِ وَاقْرَأْ هَذِهِ
الْأَوْرَاقَ فِي هُدُوءٍ ، وَلِكِنِّي سَأَعُودُ قَبْلَ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ لِأُرْسِلَ فِي طَلَبِ
الْشَّرْطَةِ . »

ثُمَّ خَرَجَا وَاغْلَقَا بَابَ الْمَعْمَلِ وَرَاءَهُمَا . وَمَرَّ أترسُون مَرَّةً أُخْرَى بَيْنَ
الْخَدَمِ الْمُجْتَمِعِينَ حَوْلَ الْمِدْفَأَةِ ، وَسَارَ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا كَمَا يَقْرَأُ الْوَثِيقَتَيْنِ
الَّتَيْنِ سَوْفَ تُزِيلَانِ مَا شَابَ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ مِنْ غُمُوزِي .

الْقِصَّةُ كَمَا رَوَاهَا ذُكُور لاثيون

في اليومِ الثَّاسِعِ مِنْ يَنَآيِرِ سَنَةِ - ١٨ ، أُنِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، تَلَقَّيْتُ بِرِيدِ الْمَسَاءِ خِطَابًا مُسَجَّلًا مُرْسَلًا مِنْ صَدِيقِي وَرَمِيلِ الدَّرَاسَةِ الْقَدِيمِ هِنْرِي جِيكِل . فَأَنْدَمَشْتُ كَثِيرًا ، لِأَنَّنَا لَمْ نَعْتَدْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَتْرَاسَلَ ، فَضْلًا عَنْ أَنِّي كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَتَنَاوَلْتُ الْعِشَاءَ مَعَهُ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ . وَلِهَذَا لَمْ أَتَحَيَّلْ وَجُودَ سَبَبٍ يَدْعُوهُ لِأَنْ يُرْسِلَ لِي خِطَابًا مُسَجَّلًا . أَمَّا مُحتَوَيَاتُ الْخِطَابِ فَقَدْ زَادَتْ مِنْ دَهْشَتِي . وَإِلَيْكَ مَا جَاءَ بِهِ :

» ١٠ دِيسَمْبَرِ سَنَةِ - ١٨

» عَزِيزِي لاثيون ،

أَنْتَ مِنْ أَقْدَمِ أَصْدِقَائِي . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّنَا قَدْ اخْتَلَفْنَا أَحْيَانًا حَوْلَ بَعْضِ الْمَوْضُوعَاتِ الْعِلْمِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَذْكُرُ قَطُّ أَنْ مَحَبَّتَنَا قَدْ تَأَثَّرَتْ بِذَلِكَ - أَقُولُ هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِي عَلَى الْأَقْل . وَلَوْ تَحَيَّلْنَا أَنَّهُ جَاءَ يَوْمٌ نَقُولُ لِي فِيهِ يَا جِيكِلُ إِنَّ حَيَاتِي وَشَرَفِي وَقُدْرَتِي عَلَى التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ تَتَوَقَّفُ جَمِيعًا عَلَى مُسَاعَدَتِكَ لِي لَبَادَرْتُ فِي أَحَالٍ وَضَحِيَّتٍ بِكُلِّ مَا أُمَلِّكَ ، وَيَبِيدِي ذَاتَهَا ، لِمُسَاعَدَتِكَ . وَأَنَا أَقُولُ لَكَ يَدُورِي يَا لاثيون إِنَّ حَيَاتِي وَشَرَفِي وَقُدْرَتِي عَلَى التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ هِيَ كُلُّهَا تَحْتَ رَحْمَتِكَ . وَإِذَا تَحَلَّيْتُ عَنِّي هَذِهِ اللَّيْلَةُ فَسَوْفَ أُضِيعُ .

» أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُؤَجِّلَ جَمِيعَ التَّزَامَاتِكَ وَمَوَاعِيدِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ حَتَّى إِنْ كُنْتُ مَطْلُوبًا لِعِبَادَةِ أَحَدِ الْأَبَاطِرَةِ . وَأَنْ تُوجِرَ عَرَبَةً ، وَتَأْخُذَ هَذَا الْخِطَابَ

مَعَكَ لِتَرْجِعَ إِلَيْهِ ثُمَّ تَجِهُ رَأْسًا إِلَى بَيْتِي . وَقَدْ أَصْدَرْتُ أَوْامِرِي إِلَى بُرُولِ
رَأْسِي خَدَمِي ، وَسَوْفَ تَجِدُهُ فِي آتِنْتَظَارِكَ وَمَعَهُ صَانِعُ مِفْتَاحٍ . وَعَلَيْكُمْ أَنْ
تُقْتَحُوا بَابَ غُرْفَتِي بِالْمَعْمَلِ ، وَأَنْ تَدْخُلَهَا أَنْتَ بِمُفْرَدِكَ وَتُقْتَحَ بَابَ الْخَزِينَةِ
الزُّجَاجِيِّ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهِ الْحَرْفُ (أ) مِنْ نَاحِيَةِ أَلْيَسَارِ ، وَأَنْ تُكْسِرَ الْقُفْلَ إِذَا
كَانَتْ الْخَزِينَةُ مُغْلَقَةً ، ثُمَّ تُخْرِجَ الدَّرَجَ الرَّابِعَ مِنْ أَعْلَى يَكُلُّ مَا فِيهِ دُونَ أَيِّ
تَغْيِيرٍ - وَهُوَ نَفْسُ الدَّرَجِ الثَّلَاثِ مِنْ أَسْفَلٍ . إِنِّي أَخَشَى - وَأَنَا أَعَانِي حَالِيَا
مِنْ الْاَرْتِبَاكِ الذَّهْنِيِّ - أَنْ أَسِيءَ تَوْجِيهَكَ . وَلَكِنَّكَ سَوْفَ تُعْرِفُ الدَّرَجَ
الْمَطْلُوبَ بِمَا فِيهِ مِنْ مُخْتَوِيَاتٍ . فَفِيهِ بَعْضُ الْمَسَاحِقِ وَقَيْنَةُ زُجَاجِيَّةٍ
صَغِيرَةٍ وَكِتَابٌ . أَرْجُوكَ أَنْ تُحْمِلَ مَعَكَ هَذَا الدَّرَجَ إِلَى مَيْدَانِ كَافُونْدِيش
كَمَا هُوَ دُونَ أَنْ تُحْدِثَ فِيهِ أَيَّ تَغْيِيرٍ .

« هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْخِدْمَةِ الَّتِي أَرْجُوهَا مِنْكَ ، أَمَّا عَنِ الْخِدْمَةِ
الثَّانِيَةِ فَهِيَ كَمَا يَلِي : إِذَا بَدَأْتَ تَنْفِيذَ مَا طَلَبْتُهُ مِنْكَ بِمُجَرَّدِ اسْتِئْذَانِكَ هَذَا
الْخِطَابِ فَسَوْفَ تَتِمَكَّنُ مِنَ الْعَوْدَةِ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَأَنْ تَدْخُلَ بِنَفْسِكَ إِلَى
بَيْتِكَ رَجُلًا سَوْفَ يُخْبِرُكَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ طَرَفِي وَتُعْطِيهِ الدَّرَجَ الَّذِي أَخْضَرْتُهُ
مِنْ غُرْفَتِي . وَبِذَلِكَ تَكُونُ قَدْ قُمْتَ بِدَوْرِكَ ، وَاسْتَحَقَقْتَ شُكْرِي الْجَزِيلَ
وَعَرَفَانِي لَكَ بِالْجَمِيلِ . وَإِذَا كُنْتَ مُصِرًّا عَلَى تَوْضِيحِ مَا لَا بَسَ هَذِهِ الْمُهْمَّةُ
مِنْ غَمُوضٍ فَسَوْفَ تُذَرِّكَ - بَعْدَ مُرُورِ خَمْسِ دَقَائِقَ عَلَى إِنْجَازِهَا - أَنْ هَذِهِ
الْكَتَرْتِيَّاتُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ غَرَابَتِهَا ذَاتُ أَهَمِّيَّةٍ بَالِغَةٍ ، وَأَنْ إِهْمَالَ أَيِّ جُزْءٍ مِنْهَا
سَيُؤَدِّي إِلَى وَفَاتِي أَوْ أَتِلَالِ قُدْرَاتِي الْعَقْلِيَّةِ ، وَأَنْكَ سَتَكُونُ الْمَسْئُولَ عَمَّا
حَدَّثَ .

« وَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَقْتِي بِأَنَّكَ سَوْفَ تَسْتَجِيبُ لِهَذَا الرَّجَاءِ فَإِنَّ قَلْبِي يَخْفِقُ
وَيَذِي تَرْجُفَانِ لِمُحَرِّدِ التَّفَكِيرِ فِي أَحْتِمَالِ عَدَمِ اسْتِجَابَتِكَ لَهُ . فَكَّرَ فِي هَذِهِ
الْخُطْبَةِ وَأَنَا فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ أَعَانِي مِنَ الْكَرْبِ الشَّدِيدِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا وَاثِقٌ
أَنَّكَ لَوْ قَدَّمْتَ لِي هَذِهِ الْخِدْمَةَ فَسَوْفَ يَنْقَشِعُ هَذَا الْكَرْبُ ، وَتَزُولُ عَنِّي تِلْكَ
الْمَتَاعِبُ ، وَكَأَنَّهَا قِصَّةٌ قَدِيمَةٌ عَفَاها الزَّمَنُ . أُخَدِّمُنِي يَا عَزِيزِي لِاتِّبُونَ وَأَنْقِذْ
صَدِيقَكَ .

هـ . ج . هـ

« مَلْحُوظَةٌ : بَعْدَ أَنْ أَغْلَقْتُ هَذَا الْخِطَابَ خَطَرَ بِهَالِي أَنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَلَّا
يُسْعِفَنِي الْبَرِيدُ فَلَا يَصِلُكَ هَذَا الْخِطَابُ إِلَّا فِي صَبَاحِ الْعَدَدِ . وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَا
عَزِيزِي لِاتِّبُونَ قُمْ بِمَا طَلَبْتُهُ مِنْكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُنَاسِبُكَ أَثْنَاءَ الْفُجَاءِ ، ثُمَّ
تَوَقَّعْ حُضُورَ رَسُولِي عِنْدَ مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ . رُبَّمَا يَنْجُمُ عَنْ ذَلِكَ ضِيَاعُ
الْفُرْصَةِ . أَمَّا إِذَا مَرَّتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ دُونَ أَنْ يَخْدُثَ شَيْءٌ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ
أَذْرَكْتَ نَهَايَةَ صَدِيقَكَ هِنْرِي جِيكِل . »

« عِنْدَمَا قَرَأْتُ هَذَا الْخِطَابَ تَأَكَّدْتُ أَنَّ صَدِيقِي قَدْ جُنَّ . وَلَكِنِّي
وَجَدْتُ أَنَّ مِنْ وَاجِبِي أَنْ أَتَقَدَّمَ مَا طَلَبَهُ مِنِّي إِلَى أَنْ يَثْبُتَ لِي دُونَ أَذَى شَكٍّ أَنَّهُ
قَدْ أَصِيبَ بِالْجُنُونِ . إِنْ عَدِمَ فَهَمِي لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَرَبِيَّةِ جَعَلَنِي غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى
فَهْمِ مَدَى أَهَمِّيَّتِهَا ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُهْمَلَ شَخْصٌ رَجَاءُ صَبِيحٍ
بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ . لِهَذَا غَاذَرْتُ مَكْتَبِي ، وَاسْتَدْعَيْتُ عَرَبَةً ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهَا
فِي الْحَالِ إِلَى مَنْزِلِ الدُّكْتُورِ جِيكِل . وَكَانَ رَئِيسُ الْخَدَمِ فِي انْتِظَارِي ، إِذْ كَانَ
قَدْ تَسَلَّمَ فِي نَفْسِ الْبَرِيدِ خِطَابًا مُسَجَّلًا بِهِ التَّعْلِيمَاتُ الْخَاصَّةُ بِهِ ، وَأَرْسَلَ فَوْرًا

فِي طَلَبِ صَانِعِ مِفَاتِيحَ وَنَجَارٍ . وَجَاءَ الْعَامِلَانِ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ فَاتَّجِهْنَا جَمِيعًا
نَحْوَ الْمَعْمَلِ . كَانَ بَابُ الْغُرْفَةِ قَوِيًّا ، وَالْقِفْلُ مُمْتَنَزًا ، فَقَالَ النَّجَّارُ إِنَّهُ سَيَجِدُ
صُعُوبَةً كَبِيرَةً فِي فَتْحِ أَلْبَابِ ، وَسَيُلْحِقُ بِهِ ضَرَرًا بَالِغًا إِذَا اسْتَحْدَمَ الْقُوَّةَ فِي
فَتْحِهِ . أَمَّا صَانِعُ الْمِفَاتِيحِ فَقَدْ كَادَ أَلْيَأْسُ أَنْ يَتَمَلَّكَهُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَامِلًا مَاهِرًا
وَنَجَحَ بَعْدَ مُرُورِ سَاعَتَيْنِ فِي أَنْ يَفْتَحَ أَلْبَابَ .

« فَتَحْتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَزِينَةَ الَّتِي عَلَيْهَا الْحَرْفُ (أ) وَأَخْرَجْتُ الدُّرَجَ
الْمَطْلُوبَ ، وَمَلَأْتُهُ بِالْقَشِّ ، ثُمَّ رَبَطْتُهُ وَلَفَفْتُهُ بِالْوَرَقِ ، وَعُدْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي .
» أَخَذْتُ أَفْحَصُ مَحْتَوَيَاتِهِ ، فَوَجَدْتُ الْمَسَاحِقَ مَصْنُوعَةً بِعِنَايَةٍ ،
وَلَكِنْ لَيْسَ بِمَهَارَةِ الصَّيْدَلِيِّ ؛ وَلِهَذَا فَقَدْ بَدَأَ وَاضِحًا أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ صَنْعِ
جَبِكِلَ . وَعِنْدَمَا فَتَحْتُ أَحَدَ الظُّرُوفِ وَجَدْتُ مَا بَدَأَ لِي مِلْحًا عَادِيًّا أُبَيِّضُ
الْلَوْنِ . ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْقِنِينَةِ فَوَجَدْتُهَا مُملُوءَةً إِلَى مُتَنَصِّفِهَا بِسَائِلِ فِي حُمْرَةِ
الدِّمِ . أَمَّا الْكِتَابُ فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ مُفَكَّرَةٍ عَادِيَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مَكْتُوبًا بِهَا غَيْرُ قَائِمَةٍ
تَوَارِيخَ . وَكَانَتْ هَذِهِ التَّوَارِيخُ تُعْطِي عِدَّةَ سِنِينَ ، وَلَكِنِّي لَاحِظْتُ أَنَّ
الْكِتَابَةَ تَوَقَّفَتْ مُنْذُ عَامٍ ثَقَرِيًّا وَأَنَّهَا تَوَقَّفَتْ فَجَاءَةً . وَكَانَتْ هُنَاكَ مَلْحُوظَةٌ
تُضَافُ أَمَامَ بَعْضِ التَّوَارِيخِ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمَلْحُوظَةُ
تُعَدُّ - فِي مُعْظَمِ الْأَحْوَالِ - كَلِمَةً وَاحِدَةً هِيَ كَلِمَةُ « مَرَّتَيْنِ » . وَقَدْ
وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي حَوَالِي سِتِّ مَرَّاتٍ مِنْ بَيْنِ عِدَّةِ مِثَالٍ مِنَ التَّوَارِيخِ .
وَكَانَتْ هُنَاكَ عِبَارَةٌ أُخْرَى وَرَدَتْ فِي تَارِيخٍ مُبَكِّرٍ وَأَعْقَبْتُهَا عِدَّةَ غَلَامَاتٍ
تَعْجِبُ ، وَهِيَ عِبَارَةُ « إِخْفَاقٌ كَامِلٌ » ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ لَمْ تَتَكَرَّرْ بَعْدَ
ذَلِكَ .

« عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ قَدْ زَادَ مِنْ فُضُولِي فَإِنَّهُ لَمْ يُفِدْنِي كَثِيرًا ، إِذْ كَيْفَ يَنْجُمُ عَنْ وُجُودِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي بَيْتِي أَيْ أَثَرٌ عَلَى شَرَفِ الدُّكْتُورِ جِيكِيل أَوْ سَلَامَةِ عَقْلِهِ أَوْ حَيَاتِهِ ؟ وَإِذَا كَانَ فِي أَسْطِطَاعَةِ رَسُولِهِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى بَيْتِي فَلِمَاذَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَيْ مَكَانٍ آخَرَ ؟ وَلِمَاذَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَقَابِلَ ذَلِكَ الشَّخْصَ سِرًّا ؟ كُلَّمَا أَطْلُتُ التَّفَكِيرَ فِي هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ زَادَ اعْتِقَادِي بِأَنِّي أَعْمَلُ مَعَ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمَرَضِ الْعَقْلِيِّ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي أُمِرْتُ بِخَدَمِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى فِرَاشِهِمْ فَإِنِّي خَشَوْتُ مُسَدَّسِي الْقَدِيمَ بِالرُّصَاصِ حَتَّى أَكُونَ عَلَى أَسْتِعْدَادٍ لِلدَّفَاعِ عَنْ نَفْسِي .

« وَمَا إِنْ ذُقْتُ السَّاعَةَ مُغْلَنَةً الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ حَتَّى سَمِعْتُ طَرَقَةً خَفِيفَةً عَلَى الْبَابِ . وَذَهَبْتُ بِنَفْسِي لِأَفْتَحَ الْبَابَ ، فَوَجَدْتُ شَخْصًا ضَبِلَ الْجِسْمَ يَتَكَيَّ بِصُورَةٍ تَدْعُو إِلَى الشُّفْقَةِ عَلَى أَحَدِ أَعْمِدَةِ الْمَدْخَلِ .

سَأَلْتُهُ : « هَلْ جِئْتُ مِنْ عِنْدِ الدُّكْتُورِ جِيكِيل ؟ »

أَجَابَنِي : « نَعَمْ . » وَأَوَّمًا قَلِيلًا بِرَأْسِهِ . وَعِنْدَمَا طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ وَرَاءَهُ إِلَى الْمِيدَانِ الْمُظْلِمِ ، حَيْثُ كَانَ أَحَدُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ يَسِيرُ عَلَى مَسَافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ وَمِصْبَاحُهُ مُضَاءً . وَعِنْدَمَا رَأَى زَائِرِي رَجُلَ الشُّرْطَةِ أَنْزَعَجَ وَأَسْرَعَ بِالْدُّخُولِ .

« أَنَا أَعْتَرِفُ بِأَنَّ هَذِهِ الْتَفَاصِيلَ قَدْ جَعَلْتَنِي لَا أُرْتَاحُ لِلشَّخْصِ ، وَلِهَذَا وَضَعْتُ يَدِي عَلَى مُسَدَّسِي وَأَنَا أَتْبَعُهُ إِلَى غُرْفَةِ الْكَشْفِ ذَاتِ الْضَوْءِ الْبَاهِرِ حَيْثُ وَجَدْتُ فِي الْكُنْهَاءِ فُرْصَةً لِأَتَبَيَّنَ مَلَامِحَهُ بِوُضُوحٍ . إِنِّي لَمْ أَرَهُ قَطُّ قَبْلَ

ذَلِكَ - هَذَا أَمْرٌ أَكِيدُ . لَقَدْ كَانَ ضَيْعَ الْجِسْمِ ، كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ ، وَلَكِنْ مَلَامِحَ وَجْهِهِ كَانَتْ مِنَ الْقَطَاعَةِ بِحَيْثُ صَدَمْتَنِي . وَأَذْهَلَنِي كَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَرَكَةِ النَّشِيطَةِ وَالضَّعْفِ الْبَدَنِيِّ الْبَادِي عَلَيْهِ . وَأَذْهَلَنِي مَا أَخَذَتْهُ وَجُودُهُ مَعِيَ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ مِنْ أَضْطِرَابٍ .

« كَانَ الرَّجُلُ يَرْتَدِي مَلَابِسَ تَجْعَلُ لَابِسَهَا مَوْضِعَ سُحْرِيَّةٍ وَاسْتِهْزَاءٍ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنْ قُمَاشٍ مُمْتَازٍ فَقَدْ كَانَتْ وَاسِعَةً عَلَيْهِ بِصُورَةٍ مَلْحُوظَةٍ . فَقَدْ كَانَ الْبَنُطْلُونُ فَضْنَفَاضًا وَقَدْ طَوَى طَرَفَيْهِ حَتَّى لَا يَتَدَلَّى عَلَى الْأَرْضِ ؛ وَكَانَ الْجُزْءُ الْأَوْسَطُ مِنْ سِتْرَتِهِ إِلَى مَا دُونَ خَصْرِهِ يَدْرَجُ كَبِيرَةً ، كَمَا كَانَتْ الْيَاقَةُ وَاسِعَةً بِحَيْثُ آمَتَدَتْ عَلَى كَتِفَيْهِ . وَالْعَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا اللَّبَاسَ الْمُضْجَحَ لَمْ يُثَرِّ عِنْدِي أَيَّ مَيْلٍ إِلَى الضَّحْكِ ، لِأَنَّ أَهْتِمَامِي بِطَبِيعَةِ الرَّجُلِ وَشَخْصِيَّتِهِ أَقْتَرَنَ بِحُبِّ اسْتِطْلَاحِ دَفْعَتِي إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْلِهِ وَأَسْلُوبِ حَيَاتِهِ وَوَضْعِهِ الْأَجْتِمَاعِيِّ .

« كَانَ زَائِرِي فِي غَايَةِ الْفَجَلَةِ مِنْ أَمْرِهِ . فَقَدْ صَاحَ بِي : « هَلْ أَحْضَرْتَهَا ؟ هَلْ أَحْضَرْتَهَا ؟ » وَكَانَ مِنَ التَّسْرُّعِ بِحَيْثُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى ذِرَاعِي وَحَاوَلَ أَنْ يَهْزُنِي . وَلَكِنِّي دَفَعْتُ يَدَهُ بَعِيدًا ، وَقَدْ أَحْسَسْتُ عِنْدَمَا لَمَسَنِي بِقُشْعَرِيرَةٍ بَارِدَةٍ تَسْرِي فِي دَمِي .

« قُلْتُ لَهُ : (تَعَالِ يَا سَيِّدِي لَقَدْ نَسِيتُ أَنَّنَا لَمْ نَتَعَارَفْ بَعْدُ . اجْلِسْ مِنْ فَضْلِكَ .) وَجَلَسْتُ أَنَا حَتَّى يَحْدُو حَذْوِي . جَلَسْتُ فِي مَقْعَدِي الْمُعْتَادِ مُتَّصِعًا أَكْبَرَ قَدَرٍ مِنَ الْهَدْوِ يَسْمَحُ بِهِ هَذَا الْمَوْقِفُ الْغَرِيبُ فِي تِلْكَ الْسَّاعَةِ



الْمَتَأَخِّرَةِ مِنَ اللَّئِيلِ ، وَقَدْ سَاوَرَنِي مِنَ الْأَفْكَارِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْرٌ كَبِيرٌ وَشَعُرْتُ
بِالْفَرْعِ مِنْ هَذَا الزَّائِرِ الْعَرَبِيِّ .

« أَجَابَنِي بِأَدَبٍ بِاللُّغَةِ : (عَفْوًا يَا دُكْتُور لَاتِيُون . إِنَّ مَا نَقُولُهُ صَحِيحٌ .
إِنَّ تَسْرِعِي قَدْ غَطَى عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ أَتْبِعَهُ مِنْ أُسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ . لَقَدْ جِئْتُ هُنَا
أَسْتِجَابَةً لِطَلَبِ صَدِيقِكَ الدُّكْتُورِ جِيكِلَ فِي أَمْرٍ لَهُ بَعْضُ الْخُطُورَةِ . وَلَقَدْ
فَهِمْتُ مِنْهُ ...) وَهُنَا تَوَقَّفَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عُنُقِهِ . وَلاحَظْتُ ، عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ تَظَاهِرِهِ بِالْهُدُوءِ ، أَنَّهُ فِي صِرَاحٍ مَعَ مُقَدِّمَاتِ أَرْمَةِ لَا سَيْطَرَةَ لَهُ عَلَيْهَا . ثُمَّ
تَمَتَّمَ قَائِلًا : (لَقَدْ فَهِمْتُ مِنْهُ ... دَرْجًا .) وَهُنَا أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ :
(هَا هُوَ ذَا .) مُشِيرًا إِلَى الدَّرَجِ الَّذِي كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُهُ عَلَى الْأَرْضِ وَرَاءَ
الْمِنْضَدَةِ وَعَلَيْهِ غِطَاؤُهُ .

« قَفَرَ الرَّجُلُ نَحْوَ الدَّرَجِ ثُمَّ تَوَقَّفَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فِي مَوْضِعِ
الْقَلْبِ ، وَسَمِعْتُ صَرِيْفَ أَسْنَانِهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ فَوَجَدْتُهُ شَاحِبًا مُرْعِبًا
مِمَّا جَعَلَنِي أَشْعُرُ بِالْإِزْعَاجِ عَلَى حَيَاتِهِ وَعَلَى قُوَاهِ الْعَقْلِيَّةِ .

« قُلْتُ لَهُ : (هَوْنٌ عَلَيْكَ .)

« إِنِّجَّةٌ نَحْوِي بِإِتْسَامَةِ مُرْعِيَةٍ ، ثُمَّ نَزَعَ الْغِطَاءَ مِنْ فَوْقِ الدَّرَجِ . وَمَا لَنْ
رَأَى مُحتَوِيَاتِهِ حَتَّى شَهِقَ شَهْقَةً عَالِيَةً ثُمَّ عَنِ أَرْتِيَا حِ الشَّدِيدِ مِمَّا زَادَ مِنْ
تَعْجَبِي . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ قَالَ لِي فِي صَوْتٍ تَمَّتِ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِ بِدَرْجَةٍ
كَبِيرَةٍ : (هَلْ لَدَيْكَ أَنْبُوءَةٌ اخْتِبَارٍ زُجَاجِيَّةٌ ؟)

« قُمْتُ مِنْ مَكَانِي بِشَيْءٍ مِنَ الْجُهْدِ وَأَعْطَيْتُهُ مَا طَلَبَ . فَشَكَرَنِي بِإِيمَاءَةٍ

وَأَيْتِسَامِيَّةٌ ، ثُمَّ كَالِ بَضْعٍ فَطَرَاتٍ مِنَ السَّائِلِ الْأَخْمَرِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهَا أَحَدَ الْمَسَاحِقِ فَتَجَمَّ عَنْ ذَلِكَ خَلِيطٌ اتَّخَذَ فِي الْبِدَايَةِ لَوْنًا أَحْمَرَ ثُمَّ بَدَأَ لَوْنُهُ يَزْدَادُ لَمَعَانًا ، وَأَخَذَتْ أَلْفَقَاقِيْعُ تَتَصَاعَدُ مِنْهُ وَتُحْدِثُ بُخَارًا . وَفَجْأَةً تَوَقَّفَتْ بِلَاكُ أَلْفَقَاقِيْعُ ، وَتَحَوَّلَ الْمَحْلُولُ إِلَى اللَّوْنِ الْأَرْجَوَانِيِّ الْغَامِقِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَحَوَّلُ بِيْطِيَّةً بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ الْفَاتِحِ .

« كَانَ زَائِرِي يُرَاقِبُ هَذِهِ التَّغْيِرَاتِ بِشَعْفٍ ، ثُمَّ آتَسَمَ وَوَضَعَ الزُّرْجَانَةَ عَلَى الْمَائِدَةِ وَاسْتَدَارَ نَحْوِي وَأَخَذَ يُحَدِّثُ فِي وَجْهِي ، ثُمَّ قَالَ : (وَالْآنَ لِنَحْسِبِ الْمَوْقِفَ . هَلْ سَتَكُونُ عَاقِلًا ؟ هَلْ سَتَقْبَلُ نَصِيحَتِي ؟ هَلْ سَتَوَافِقُ عَلَى أَنْ أَخَذَ هَذِهِ الزُّرْجَانَةَ مَعِي ، وَأَنْ أُخْرِجَ مِنْ بَيْتِكَ دُونَ مَزِيدٍ مِنَ الْحَدِيثِ ، أَمْ أَنْ شَهْوَةَ الْفُضُولِ قَدْ سَبَطَتْ عَلَيْكَ ؟ فَكَّرَ قَبْلَ أَنْ تُجِيبَ ، فَسَأَلْتُ مَا تُقَرِّرُهُ . عَلَيْكَ أَنْ تُخْتَارَ إِمَّا أَنْ تَبْقَى كَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ دُونَ أَنْ تُصْبِحَ أَكْثَرَ غِنًى أَوْ أَكْثَرَ حِكْمَةً (اَللَّهُمَّ إِذَا أَعْتَبَرْتَ أَرْتَبَاحَكَ لِتَقْدِيمِ خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ فِي كَرِّبٍ شَدِيدٍ ضَرْبًا مِنْ غِنِي الرُّوحِ) أَوْ أَنْ تُخْتَارَ مَعْرِفَةُ جَدِيدَةٍ وَطَرِيقًا جَدِيدًا لِلشُّهُرَةِ وَالْقُوَّةِ أَظْهَرُهُ لَكَ هُنَا فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ فِي الْكُتُوِّ وَاللَّحْظَةِ - وَعِنْدَيْدِ سَوْفَ تَشْهَدُ مُعْجِزَةً يَرْتَعِدُ لَهَا الشَّيْطَانُ نَفْسُهُ .)

« قُلْتُ لَهُ وَأَنَا أَتَصَنِّعُ هُدُوءًا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ : (إِنْ مَا تَقُولُهُ غَامِضٌ كُلُّ الْغُمُوضِ ، وَلَنْ تَعَجَّبَ إِذَا قُلْتُ لَكَ إِنِّي أَسْتَمِعُ إِلَيْكَ دُونَ أَنْ أَصْدَقَ مَا تَقُولُ . وَقَدْ قُمْتُ اللَّيْلَةَ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْخِدْمَاتِ الْكَرِيمَةِ مِمَّا يَجْعَلُنِي غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى التَّوَقُّفِ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى نِهَايَةِ الْمَطَافِ .)



« قَالَ : (حَسَنَ يَا لَاتِيُونَ . إِنَّكَ تَذَكُرُ قَسَمَكَ لِي . إِنْ مَا سَأَرِيكَهُ الْآنَ سِيرَ بَيْنَنَا . وَالْآنَ ، أَنْتَ يَا مَنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ دَائِمًا بِأَكْثَرِ الْآرَاءِ مَادِيَّةً وَتَرْفُتُنَا ؛ أَنْتَ يَا مَنْ كُنْتَ تُنْكِرُ وَجُودَ دَوَاءٍ غَيْرِ مَادِيٍّ ؛ أَنْتَ يَا مَنْ كُنْتَ تُسَحِّرُ مِمَّنْ هُمْ أَعْلَى مِنْكَ قَدْرًا ، أَنْظُرْ مَاذَا تُرَى ؟)

« قَرَّبَ الرَّجُلُ الرَّجَاجَةَ مِنْ شَفْتَيْهِ وَشَرِبَ ، وَأَعْقَبَتْ ذَلِكَ صَيْحَةً ، ثُمَّ تَرْتَّحَ وَأَوْشَكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ فَأَمْسَكَ الْمِنْصَدَةَ وَالْكَأَ عَلَيْهَا . وَكَانَتْ عَيْنَاهُ تُحْمِلِقَانِ ، وَقَدْ أَحْمَرَّتَا أَحْمِرَارَ الدَّمِ ، وَكَانَتْ أَنْفَاسُهُ تَتَابَعُ طَوِيلَةً عَمِيقَةً .

وَبَدَأَ لِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَنْ تَغْيِرًا قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ ، فَقَدْ بَدَأَ كَانَ مَلَامِحُهُ قَدْ ذَابَتْ وَتَبَدَّلَتْ . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ وَجَدْتُ نَفْسِي أَقْفَرُ مِنْ مَكَانِي وَأَتَرَجَعُ إِلَى أَنْ أَلْتَصِقَ ظَهْرِي بِالْحَائِطِ وَقَدْ رَفَعْتُ يَدَيَّ لِتَقْيَانِي هَذَا الرَّعْبَ ، وَغَرِقْتُ فِي دَوَامَةٍ مِنَ الْخَوْفِ .

« صِيحْتُ : (يَا إِلَهِي ! يَا إِلَهِي !) عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، فَهَنَّاكَ أَمَامَ عَيْنَيَّ ، شَاحِبُ الْوَجْهِ مُتَرْتَّحٌ يُوشِكُ أَنْ يُغْمِيَ عَلَيْهِ وَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ أَمَامَهُ كَالْأَعْمَى يَتَحَسَّسُ طَرِيقَهُ — هُنَاكَ وَقَفَ الْدُكْتُورُ جِيكِلَ وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عَادَ مِنْ قَبْرِهِ .

« لَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أُسْتَرْجَعَ كُلُّ مَا قَالَهُ لِي فِي السَّاعَةِ التَّالِيَةِ وَأَنْ أُكْتَبَهُ هُنَا . لَقَدْ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ ، وَسَمِعْتُ مَا سَمِعْتُ ، وَارْتَعَدْتُ لَهُ نَفْسِي ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَعِنْدَمَا أَسْأَلُ نَفْسِي الْآنَ ، بَعْدَ أَنْ خَفَّ وَقَعَ الْكُصُورَةُ عَلَى نَاطِرِي ، هَلْ حَدَّثَ هَذَا حَقًّا ؟ هَلْ أَصَدَّقُهُ ؟ لَا أَجِدُ لِلذِّلِّكَ جَوَابًا . لَقَدْ أَهْتَرَّتْ حَيَاتِي مِنْ

جُذُورِهَا ، وَهَجَرَنِي النَّوْمُ ، وَلَا زَمَنِي شَعُورٌ بِالْفَرَجِ طَوَالَ سَاعَاتِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ . إِنِّي أَشْعُرُ بِأَنَّ أَيَّامِي مَعْدُودَةٌ ، وَأَنِّي سَأَمُوتُ لَا مَحَالَةَ . وَمَعَ ذَلِكَ
فَسَوْفَ أَمُوتُ وَأَنَا لَا أَصَدِّقُ مَا حَدَّثَ . أَمَّا بِالنَّسَبِ لِذَلِكَ الشَّرِّ الْأَسْوَدِ الَّذِي
كَشَفَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ لِي فَلَيْسَ فِي وَسْئِعِي أَنْ أَتَذَكَّرَهُ دُونَ أَنْ أُرْتَعِدَ فَرَعًا . وَأُرِيدُ
أَنْ أَضَيِّفَ نُقْطَةً أُخْرَى وَاحِدَةً - يَا ابْنُ سُون - وَفِيهَا الْكِفَايَةُ إِذَا أُمُكِّنَكَ
تَصَدِّقُهَا . إِنَّ الْمَخْلُوقَ الَّذِي دَخَلَ بَيْتِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ مَعْرُوفًا بِأَسْمِ هَايِد
كَمَا اعْتَرَفَ لِي بِذَلِكَ جِيكِيل نَفْسُهُ . وَكَانَتْ الْشَّرْطَةُ تَبْحَثُ عَنْهُ فِي كُلِّ رُكْنٍ
مِنْ أَرْكَانِ الْبِلَادِ بِاعْتِبَارِهِ قَاتِلَ كَارُو .

هاستي لائيون »

القصة كاملة كما نرويها هنري جيكل

وُلِدْتُ سنة - ١٨ في أسرة غنيّة ، وَمَنَحَنِي الله مواهب وقدرات
مُتَنَازَةً : فَأَنَا أَمِيلٌ بِطَبْعِي إِلَى الْكَذِّ وَالْمُثَابَرَةِ ، وَأُحِبُّ أَنْ أُحْطَى بِاحْتِرَامٍ مِنْ
أَعْرِفُهُمْ بِمَنْ يَتَسَمَّوْنَ بِالْحِكْمَةِ وَطَبِيعَةِ الْقَلْبِ . وَلِهَذَا كُنْتُ وَاثِقًا أَنَّ مُسْتَقْبَلِي
سَيَكُونُ مُشْرِقًا وَمَرْمُوقًا ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ أَسْرًا رَذَائِلِي هِيَ مِيلِي الشَّدِيدُ إِلَى
الْمَرْج . وَرَغِمَ أَنَّ الْمَرْجَ يُعْتَبَرُ مَصْدَرًا لِسَعَادَةِ الْكَثِيرِينَ ، فَقَدْ وَجَدْتُ
صُعُوبَةً بِالْعَمَلِ فِي أَنْ أَوْفَّقَ نَيْتَهُ وَبَيْنَ رَغْبَتِي الْقَوِيَّةِ فِي أَنْ أَرْفَعُ رَأْسِي عَالِيًا أَمَامَ
النَّاسِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَظْهَرِي لَدَيْهِمْ وَقُورًا كُلِّ الْوَقَارِ .

لِهَذَا قُمْتُ بِإِخْفَاءِ نَزْعَتِي إِلَى الْمَرْجِ وَالسُّرُورِ حَتَّى إِنَّنِي عِنْدَمَا بَلَغْتُ سِنَّ
الرُّشِيدِ ، وَبَدَأْتُ أَنْظُرَ حَوْلِي لِأَتَبَيَّنَ مَدَى مَا حَقَّقْتُهُ مِنْ تَقَدُّمٍ وَمَكَانَةٍ فِي
الْمُجْتَمَعِ ، وَجَدْتُ نَفْسِي أَعِيشُ حَيَاةَ مُزْدَوَجَةٍ . وَكَانَتْ خُطَايَايَ مِنَ التَّنَوُّعِ
الَّذِي يَفْتَرِقُهُ الْكَثِيرُونَ غَيْرِي دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِالْحَرَجِ ، بَلْ إِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ
يَتَفَاخَرُونَ بِهَا . وَلَكِنَّ الْقِيَمَ الَّتِي وَضَعْتُهَا نُصَبَ عَيْنِي جَعَلْتَنِي أَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ
الْخُطَايَا وَالْخَجَلِ يَمَلَأُ جَوَانِحِي ، وَأَحَاوَلُ جَاهِدًا أَنْ أُخْفِيهَا عَنْ أَغْيُنِ
النَّاسِ ، وَكَأَنَّمَا أَعَانِي مِنْ شُعُورٍ مَرْضِيٍّ بِالْإِثْمِ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَيْنِ
الْجَانِبَيْنِ الْمُتَنَافِضَيْنِ فِي تَكْوِينِي ، فَقَدْ كُنْتُ صَادِقًا مَعَ نَفْسِي . وَكَانَ لِكُلِّ
جَانِبٍ مِنْ هَذَيْنِ الْجَانِبَيْنِ وَجُودُهُ الْحَقِيقِيُّ . فَقَدْ كُنْتُ أَجِدُ نَفْسِي عِنْدَمَا أُنْزِعُ
عَنِّي رِدَاءَ التَّحَفُّظِ ، وَأَتَدْفِعُ نَحْوَ الْخَطِيئَةِ ، كَمَا كُنْتُ أَجِدُهَا عِنْدَمَا أَعْمَلُ
جَادًّا فِي وَضْهِ النَّهَارِ لِأَتُسَرِّعَ الْعِلْمَ ، أَوْ أُخَفِّفَ عَنِ النَّاسِ آلامَهُمْ وَأَحْزَانَهُمْ .

عِنْدَمَا وَجَدْتُ نَفْسِي فِي هَذَا الْوَضْعِ بَدَأْتُ أُجْرِي بَعْضَ الْأُبْحَاثِ الْمَعْمَلِيَّةِ
عَسَى أَنْ تُلْقِيَ بَعْضَ الضَّوءِ عَلَى هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ ، وَبَدَأْتُ أَذْرِكُ إِذْرَاكَا عَمِيقًا لَمْ
يَسْبِقْ أَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، أَنَّ هَذَا الْجِسْمَ الَّذِي نَعِيشُ بِهِ ، وَالَّذِي يَبْدُو
لِلْعَيْنِ صُلْبًا مُتَمَاسِكًا إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ مُتَغَيِّرٌ وَكَأَنَّهُ الضَّبَابُ .

لَقَدْ اكْتَشَفْتُ بَعْضَ الْعَقَائِرِ الَّتِي لَهَا الْقُدْرَةُ عَلَى هَزِّ هَذَا الْجَسَدِ هَزًّا عَنيفًا
كَمَا تَهْزُ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ جَوَانِبَ الْحَيْمَةِ . بَلْ أُمْكِنُنِي كَذَلِكَ أَنْ أَرْكَبَ عَقَارًا
يَحْلُعُ عَنِّي تِلْكَ الْقُوَى الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا نَفْسِي ، وَيُجَلِّ مَحَلَّهَا مَظْهَرًا آخَرَ
وَهُوَ طَبِيعِي لِأَنَّهُ تَعْبِيرٌ عَنْ تِلْكَ الْعَوَامِلِ السُّفْلِيَّةِ الْمَكْبُوتَةِ فِي نَفْسِي .

تَرَدَّدْتُ كَثِيرًا قَبْلَ أَنْ أَقُومَ بِالتَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ لِهَذِهِ الْفِكْرَةِ . وَكُنْتُ أَغْرِفُ
جَيِّدًا أَنِّي أَخَاطِرُ بِحَيَاتِي ، إِذْ إِنْ مِثْلُ هَذَا الْعَقَارِ الْقَوِي الْمَفْعُولِ ، الَّذِي
يَأْمُكُنِي هَؤُلَاءِ ذَلِكَ الْجِصْنِ الْحَصِينِ الَّذِي تَتَكَوَّنُ مِنْهُ نَفْسِي ، خَلِيقٌ - إِذَا زِدْتُ
مَقَادِيرَهُ زِيَادَةً طَفِيفَةً - أَنْ يُدَمِّرَ هَذَا الْجِسْمَ تَدْمِيرًا . لَكِنَّ الْإِغْرَاءَ الَّذِي أَثَارَهُ
أَحْتِمَالٌ وَصُولِي إِلَى مِثْلِ هَذَا الْاِكْتِشَافِ الرَّائِعِ تَغَلَّبَ فِي النَّهَايَةِ عَلَى مَخَافِي .
وَكَنْتُ قَدْ أَعْدَدْتُ ذَلِكَ الْعَقَارَ مِنْ قَبْلُ ، فَقُمْتُ عَلَى الْفَوْرِ بِشِرَاءِ كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ
مِنْ أَحَدِ الْأَمْلَاجِ الَّتِي عَرَفْتُ مِنْ تَجَارِبِي أَنَّهُ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الْمَطْلُوبُ ، وَقَدْ
وَجَدْتُ ذَلِكَ الْمِلْحَ لَدَى إِحْدَى الشَّرِكَاتِ الْكِيمَاوِيَّةِ . وَفِي سَاعَةٍ مَتَأَخَّرَةٍ مِنْ
لَيْلَةٍ مَلْعُونَةٍ قُمْتُ بِمَزْجِ الْعَقَارِ وَرَاقَبْتُهُ وَهُوَ يَغْلِي وَيَنْفُثُ الدُّخَانَ ، وَعِنْدَمَا
تَوَقَّفَتِ الْفَقَاقِيعُ قُمْتُ بِشَرْبِهِ فِي شَجَاعَةٍ .

أَغْبَتَ ذَلِكَ اللَّامُ زَهِيَّةً ، وَشَعَرْتُ كَأَنَّ عِظَامِي تُطْحَنُ ، وَاتَّانَبَنِي
نَوْبَاتٌ مِنَ الْقَيْءِ ، وَفَزِعْتُ فَرْعًا شَدِيدًا . ثُمَّ بَدَأْتُ هَذِهِ الْآلَامَ تَزُولُ سَرِيعًا

وَأَفْقْتُ ، وَكَأَنِّي أَفْقْتُ مِنْ مَرَضٍ طَوِيلٍ ، وَعِنْدِيذٍ شَعَرْتُ بِشَيْءٍ غَرِيبٍ
يَجْرِي فِي دِمَائِي - شَيْءٍ جَدِيدٍ لَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أَصِيفَهُ ، لَدَيْذٍ إِلَى دَرَجَةٍ
لَا يُمْكِنُ تَصْدِيقُهَا . شَعَرْتُ بِأَنِّي أَصْغَرُ سِنًا ، وَأَخْفُ حَرَكَةً وَأَكْثَرُ سَعَادَةً .
عَرَفْتُ وَأَنَا التَّقِطُ أَوَّلَ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ أَنِّي أَكْثَرُ خُبْنًا
وَمَبْلًا إِلَى الْشَرِّ - عَشْرَةَ أَضْعَافٍ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ خُبٍّ وَمَيْلٍ إِلَى الْشَرِّ ،
وَأَنِّي قَدْ بَعْتُ نَفْسِي لِتُصْبِحَ مُسْتَعِدَّةً لِذَلِكَ الْشَرِّ الْكَامِنِ فِي أَعْمَاقِهَا . إِنَّ هَذَا
الْخَاطِرَ قَدْ زَادَ مِنْ شُعُورِي بِالْقُوَّةِ وَمِنْ نَشُوتِي وَسُرُورِي . وَعِنْدَمَا مَدَدْتُ يَدِي
فِي سُرُورٍ وَبَهْجَةٍ لَأَحْظُتُ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ أَصْغَرَ حَجْمًا .

كَانَ الْآمَلُ وَالشُّعُورُ بِالنَّصْرِ يَمْلَأَنِ جَوَانِحِي ، وَقَرَّرْتُ أَنْ أَغَابِرَ
بِالذَّهَابِ إِلَى غُرْفَةِ تُوْمِي وَأَنَا فِي شَكْلِي الْجَدِيدِ . وَلِهَذَا عَبَرْتُ الْفِنَاءَ ،
وَتَسَلَّلْتُ كَالْغَرِيبِ فِي طُرُقَاتٍ بَيْتِي وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى غُرْفَتِي شَاهَدْتُ لِأَوَّلِ
مَرَّةٍ شَكْلَ إِدْوَاردِ هَايد .

لَمْ أُمَكْتُ أَمَامَ الْمِرَاةِ إِلَّا دَقِيقَةً وَاحِدَةً ، إِذْ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ أَقُومَ بِالتَّجَرُّبَةِ
الْثَّانِيَةِ وَالنَّهَائِيَّةِ ، وَهِيَ التَّجَرُّبَةُ الَّتِي سَوْفَ تُظْهِرُ لِي هَلْ فَقَدْتُ نَفْسِي دُونَ
رَجْعَةٍ ؟ وَهَلْ يَجِبُ أَنْ أَهْرَبَ قَبْلَ طُلُوعِ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْكَيْبِ الَّذِي لَمْ يُدْ
مَلِكًا لِي ؟ لِهَذَا أَسْرَعْتُ بِالرُّجُوعِ إِلَى غُرْفَةِ مَعْمَلِي ، وَأَعْدَدْتُ الشَّرَابَ مَرَّةً
ثَانِيَةً وَشَرِبْتُهُ . وَعِنْدِيذٍ عَائِثٌ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْآلِمِ أَشْبَهَ بِالْآلِمِ الْمَوْتِ ،
وَرَجَعْتُ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى أَحْمِلُ شَخْصِيَّةَ هِنْرِي جِيكِلَ وَشَكْلَهُ وَمَلَامِحَ
وَجْهِهِ .

وَصَلْتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى مُفْتَرَقِ طَرِيقِ حَظِيرٍ . فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ
إِلَى اكْتِشَافِي هَذَا نَظْرَةً أَكْثَرَ تَبْلًا ، وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ غَامَرْتُ بِالتَّجَرِبَةِ مُتَأَثِّرًا
بِأَمَالِ طَبِيبَةِ خَيْرٍ ، لَتَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَخَرَجْتُ بَعْدَ آلَامِ الْمَوْتِ وَالْوِلَادَةِ
مَلَكَامًا لَا شَيْطَانًا . لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقُولَ إِنَّ هَذَا الدَّوَاءَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ شَيْطَانِي أَوْ
مَلَائِكِي . إِنَّ كُلَّ مَا قَامَ بِهِ هُوَ أَنَّهُ حَطَمَ بَابَ السَّجْنِ الَّذِي تَقْبَعُ فِيهِ
شَخْصِيَّتِي ، فَأَنْطَلَقْتُ مِنْهُ تِلْكَ الْقَوَى الَّتِي كَانَتْ سَجِينَةً دَاخِلُهُ ، وَكَانَتْ
قَوَى الْفَضِيلَةِ عِنْدِي فِي سُبَابِ آنَذَاكَ . أَمَّا قَوَى الشَّرِّ الْكَامِنَةُ لَدَيَّ فَقَدْ
أَيَّقَنْتُهَا الرُّغْبَةَ فِي النَّجَاحِ فَأَسْرَعَتْ بِانْتِهَازِ الْمَوْقِفِ . وَكَانَ إِذْوَادُ هَايِدَ هُوَ
مَا قَدَفْتُ بِهِ إِلَى الْوُجُودِ . هُكَذَا أَصْبَحَ لِي شَكْلَانِ وَشَخْصِيَّتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ :
إِحْدَاهُمَا شَخْصِيَّةٌ شَرِيرَةٌ بِصُورَةٍ كَامِلَةٍ ، وَالْأُخْرَى شَخْصِيَّةٌ هَنَرِي جِيكِلَ الَّتِي
كَانَتْ تَحْلِيطًا غَرِيبًا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالَّتِي يَحْسُبُ مِنْ أَنْ أَصْلَحَ مَا عَوَّجَ
مِنْهَا . هُكَذَا اتَّجَهَ بِي قَدْرِي اتِّجَاهًا كَامِلًا إِلَى مَا هُوَ أَسْوَأُ .

لَقَدْ ظَلْتُ عِنْدِي - حَتَّى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - رَغْبَةً فِي الدِّرَاسَةِ وَالتَّجَرِبِ
وَقَدْ اسْتَعْلْتُ قَوَايَ الْجَدِيدَةَ هَذِهِ الرُّغْبَةَ لِتَوَاصِلِ إِغْرَائِي حَتَّى وَقَعْتُ أَسِيرًا
لَهَا . إِنَّ مُجَرَّدَ شُرْبِي لِهَذِهِ الْكَأْسِ سَوْفَ يُمَكِّنُنِي مِنْ أَنْ أُخْلَعَ عَنِّي جِسْمُ
الطَّبِيبِ الْمَشْهُورِ ، وَالْبَسَ جِسْمُ إِذْوَادِ هَايِدَ وَكَانَتْ عِبَادَةٌ ثَقِيلَةً .

جَعَلَتْنِي هَذِهِ الْفِكْرَةُ أَتَسِيمَ ، وَبَدَتْ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُسَلِّيةٌ مُعْرِيةٌ .
فَأَعْدَدْتُ الْعِدَّةَ لِتَنْفِيزِهَا بِعِنَايَةِ بِالْعَةِ ، لِذَلِكَ أَشْتَرَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ فِي رَحَى
سُوهُو وَقُتْتُ بِتَأْنِيهِ ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ الْشَّرْطَةُ بِاجْتِهَادٍ عَنْ هَايِدَ .

كَمَا أَنِّي اسْتَحْدَمْتُ أَمْرًا أَعْرِفُ أَنَّهَا كَتُومَةٌ لَا تُذْبَعُ السِّرُّ ، وَأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ
الضَّمِير ، وَجَعَلْتُهَا مَسْئُولَةً عَنِ إِدَارَةِ شُؤُونِ ذَلِكَ الْبَيْتِ .

مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى أَغْلَنْتُ لِخَدَمِي أَنَّ هُنَاكَ رَجُلًا يُدْعَى مِسْتَرِ هَايْد ،
وَصَفْتُ لَهُمْ شَكْلَهُ ، وَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ لَهُ الْحُرِّيَّةَ الْتَامَةَ وَالسُّلْطَةَ الْكَامِلَةَ فِي
بَيْتِي . بَلْ لَأَنِّي زُرْتُ الْبَيْتَ فِي صُورَةِ مِسْتَرِ هَايْد ، وَجَعَلْتُ الْخَدَمَ يَأْلِفُونَ
رُؤْيَايَ فِيهِ . وَقُمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِكِتَابَةِ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ الَّتِي اعْتَرَضَتْ عَلَيْهَا
بِشِدَّةٌ ، وَكَانَ هَدْفِي مِنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ أَنَّهُ إِذَا حَدَّثَ لِي شَيْءٌ وَأَنَا فِي صُورَةِ
دُكْتُورِ جِيكِلْ فَسَيَكُونُ فِي وَسْعِي أَنْ أَتَشَكَّلَ فِي صُورَةِ مِسْتَرِ هَايْد دُونَ أَنْ
أُخْصِرَ شَيْئًا . وَبَعْدَ أَنْ أَمُنْتُ نَفْسِي مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي - كَمَا كُنْتُ أَعْتَقِدُ -
بَادَرْتُ بِالْإِسْتِغَادَةِ مِنْ مَوْقِفِي الْغَرِيبِ هَذَا .

كَانَ النَّاسُ فِيمَا مَضَى يَسْتَأْجِرُونَ مِنَ الْأَشْرَارِ الْبَالِيسِينَ مَنْ يَقُومُونَ
بِأَرْتِكَابِ الْجَرَائِمِ لَهُمْ . أَمَّا أَنَا فَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَقُومُ بِأَرْتِكَابِ هَذِهِ الْجَرَائِمِ
بِنَفْسِهِ وَمِنْ أَجْلِ مُتَعَتِهِ الْخَاصَّةِ . لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى السَّيْرِ أَمَامَ أَعْيُنِ
النَّاسِ مُتَمَتِّعًا بِمَحَبَّتِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ
بَعْدَ أَنْ يَنْزِعَ عَنْهُ هَذَا الْكَرْدَاءُ ، كَمَا يَنْزِعُ الْتَلْمِيزُ حُلَّتَهُ الْمَدْرَسِيَّةَ وَيَنْعَمِسُ فِي
بُخْصَمِ الْحُرِّيَّةِ .

كَانَ هَذَا التَّحَوُّلُ بِالنِّسْبَةِ لِي شَيْئًا مَأْمُومًا لَا يَحْطَرُّ مِنْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، لِأَنَّ
عُنْصَرَ التَّنَكُّرِ كَانَ كَامِلًا . فَإِذَا حَدَّثَ أَنْ قَامَ هَايْد بِأَرْتِكَابِ شَيْءٍ فَمَا عَلَيَّ إِلَّا
أَنْ أَهْرَبَ إِلَى مَعْمَلِي ، وَبَعْدَ ثَانِيَةٍ أَوْ ثَانِيَتَيْنِ أَكُونُ قَدْ مَزَجْتُ الْشَّرَابَ الَّذِي
كُنْتُ أَحْتَفِظُ بِهِ دَائِمًا مَعْدًا وَشَرِبْتُهُ . وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَلَاشَى إِذْوَارِدِ هَايْد مِنْ



الرُّجُودِ كَمَا يَتَلَاشَى بُخَارُ الْمَاءِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى صَفْحَةِ الْكِرْمَةِ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ .
وَهُنَاكَ - بَدَلًا مِنْ هَايِدَ - سَوْفَ تَجِدُ شَخْصًا آخَرَ يَجْلِسُ بِهَدْوٍ فِي مَنْزِلِهِ
مُنْهَمِكًا فِي قِرَآئَتِهِ . وَلَوْ حَدَّثَ وَوَجَّهَتْ إِلَى هَذَا الشَّخْصِ أَيُّ شَبْهَةٍ أَوْ أَتَاهُم
لَضَحِكُ بَلِّ شِدْقِيهِ سُخْرِيَةً وَاسْتَهْزَأَ بِمِثْلِ هَذَا الْآتِهَامِ .

لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِإِسْنَابٍ عَنِ الْكُثْرِ الَّذِي كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى الْفِيَامِ بِهِ .
وَلَكِنِّي أُرِيدُ هُنَا أَنْ أَشِيرَ إِلَى تِلْكَ الْإِلْذَارَاتِ الَّتِي ثَوَّلَتْ عَلَيَّ مُشِيرَةً إِلَى أَنَّ
الْعِقَابَ سَوْفَ يَأْتِي خُطْوَةً خُطْوَةً .

وَقَعَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَادِثَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهَا عَوَاقِبُ وَخِيَمَةٌ ، وَلِهَذَا فَسَوْفَ
أَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا . لَقَدْ عَامَلْتُ فِتْنَةً صَغِيرَةً بِقِسْوَةٍ مِمَّا أَثَارَ غَضَبَ
شَخْصٍ كَانَ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ - وَقَدْ عَرَفْتُ أَخِيرًا أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ هُوَ
قَرِيبُكَ . وَسَرَّعَانَ مَا أَقْسَمَ إِلَيْهِ الطَّبِيبُ وَأُسْرَةُ الْفِتْنَةِ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ فِتْرَةٌ
خَرَجَتْ خَشِيبَتْ فِيهَا عَلَى حَيَاتِي . وَفِي الْكُنْهَاءِ حَاوَلَ إِذْوَاردُ هَايِدَ أَنْ يَرْضِيَهُمْ
فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى بَابِ الْمَعْمَلِ وَأَعْطَاهُمْ شَيْكًا عَلَيْهِ تَوْقِيعُ هِنْرِي جِيكِل . وَلَكِنِّي
تَجَنَّبْتُ بِسُهُولَةٍ حَدُوثَ مِثْلِ هَذَا الْخَطَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِأَنْ فَتَحْتُ حَسَابًا آخَرَ
فِي أَحَدِ الْبَنُوكِ الْآخَرَى بِاسْمِ إِذْوَاردُ هَايِدَ ، وَغَيَّرْتُ أُسْلُوبَ خَطْمِي فَجَعَلْتُهُ
يَمِيلُ إِلَى الْخَلْفِ ، وَبِذَلِكَ أُعْطِيتُ إِذْوَاردُ هَايِدَ تَوْقِيعًا خَاصًّا بِهِ وَهَكَذَا
أَعْتَقَدْتُ أَنِّي أَصْبَحْتُ بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِ يَدِ الْقَدَرِ .

حَدَّثَ قَبْلَ مَصْرَعٍ سِيرِ دَانْفِرْزِ بِشَهْرَيْنِ أَنْ خَرَجْتُ فِي إِحْدَى مُغَامِرَاتِي ،
وَرَجَعْتُ فِي سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فِي الْيَوْمِ الْتَّالِيِ وَأَنَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ
غَرِيبٍ يَسْرِي فِي دَمِي . فَتَنَظَّرْتُ حَوْلِي دُونَ أَنْ أَهْتَدِيَ لِمَا حَدَّثَ ، وَغَبْنَا

حَاوَلْتُ أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلَى مَا يُحِيطُ بِي مِنْ أَثَابِ أَنْبِيَا ، وَمِنْ سَقْفِ عَالٍ فِي غُرْفَةِ
تَوْمِي ، وَمِنْ ثُقُوشٍ عَلَى السُّتَائِرِ ، بَلْ عَلَى شَكْلِ الْفِرَاشِ الَّذِي اسْتَلَقْتِي عَلَيْهِ .
لَقَدْ أَحْسَسْتُ بِشُعُورٍ غَامِضٍ يَقُولُ لِي لَسْتُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي آعَدْتُ أَنْ
أَكُونَ فِيهِ ، وَإِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ عَنِّي ، وَإِنِّي لَسْتُ فِي تِلْكَ الْغُرْفَةِ
الصَّغِيرَةِ فِي حَيِّ سُوهُو حَيْثُ آعَدْتُ أَنْ أَنَامَ فِي شَكْلِ إِدْوَارِد هَايِد .
فَأَبْسَمْتُ وَبَدَأْتُ أَسْأِلُ نَفْسِي فِي ثُكَاسِلٍ لِمَاذَا أُشْعِرُ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرٍ بِهَذَا
الشُّعُورِ الْغَرِيبِ ، ثُمَّ غَلَبَنِي النَّعَاسُ مَرَّةً أُخْرَى وَاسْتَعْرِفْتُ فِي النَّوْمِ ثَانِيَةً .
وَحَالَ قُتْرَةٌ مِنْ قُتْرَاتِ الْيَقَظَةِ أَثْنَاءَ انْشِغَالِي بِهَذِهِ الْخَوَاطِرِ وَقَعْتُ عَيْنَايَ عَلَى
يَدَيَّ . أَلَيْتُ تَعْرِفُ أَنَّ يَدَيَّ هِنْرِي جِيكِلْ كَانَتَا كَبِيرَتَيْنِ قَوِيَّتَيْنِ ، بَيْضَاوْنِي ،
مُتَنَاسِقَتَيْنِ خَلِيقَتَيْنِ بِطَبِيبٍ . أَمَّا الْكِدَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتُهُمَا آنَذَاكَ بِوُضُوحٍ فِي ضَوْءِ
الْمِصْبَاحِ فَقَدْ كَانَتَا نَحِيفَتَيْنِ نَائِجَتَيْنِ تَبْرُزُ مِنْهُمَا الْعِظَامُ ، قَاتِمَتِي الْكُلُونِ فِي
شُحُوبٍ ، وَعَلَيْهِمَا شَعْرٌ أَسْوَدٌ كَثِيفٌ . لَقَدْ كَانَتَا يَدَيَّ إِدْوَارِد هَايِد .

وَجَدْتُ نَفْسِي أَحْمَلِي فِيهِمَا لِمُدَّةٍ نَصِيفٍ دَقِيقَةٍ ، وَأَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي تَعَجُّبٍ
وَأَسْتِعْرَابٍ ، وَلَكِنْ سَرَعَانِ مَا أَتَانِي الْفَزَعُ فَجَاءَهُ وَكَأَنَّمَا قَدْ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ
- فَقَفَزْتُ مِنْ سَرِيرِي وَأَنْدَفَعْتُ نَحْوَ الْمَرَاةِ . وَعِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى صُورَتِي فِيهَا
أَوْشَكَ دَمِي أَنْ يَجْمَدَ - نَعَمْ ، لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى فِرَاشِي وَأَنَا هِنْرِي جِيكِلْ
وَاسْتَيْقَظْتُ مِنْهُ وَأَنَا إِدْوَارِد هَايِد . فَأَخَذْتُ أَحَادِثَ نَفْسِي كَيْفَ حَدَثَ
هَذَا ؟ ثُمَّ أَتَانِي فَزَعٌ جَدِيدٌ وَأَنَا أَسْأَلُ هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلْعِلَاجِ ؟ لَقَدْ حَدَثَ
هَذَا فِي الصَّبَاحِ ، وَكَانَ الْحَدْمُ قَدْ اسْتَيْقَظُوا ، كَمَا كَانَتْ كُلُّ عَقَاقِيرِي فِي
غُرْفَةِ الْمَعْمَلِ ، وَكَانَ الطَّرِيقُ إِلَيْهَا طَوِيلًا ، فَقَدْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُهْبِطَ

مَجْمُوعَتَيْنِ مِنَ الدَّرَجِ ، وَأَصِيلَ إِلَى الدَّهْلِيْزِ الْخَلْفِيِّ ، وَأَعْيَبُ الْفِنَاءِ لِأَصِيلَ إِلَى
 الْمَفْعَلِ وَأَدْخَلَ غُرْفَتَهُ . رُبَّمَا كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ أُعْطِيَ وَجْهِي خِلَالَ هَذِهِ
 الرُّحْلَةِ ، وَلَكِنْ مَا جَدَوِي ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ فِي وَسْعِي أَنْ أَخْفِيَ مَا حَدَثَ مِنْ تَغْيِيرٍ
 فِي طَوْلِ قَامَتِي وَفِي أَجْزَاءِ جِسْمِي . وَعِنْدَيْدَ جَاءَنِي خَاطِرُ سُرْرَتُ لَهُ وَارْتَحْتُ
 وَأَنْزَاخَ مَعَهُ هَمِّي وَعَمِّي . إِنَّ الْخَدَمَ قَدْ أَصْبَحُوا مُعْتَادِينَ عَلَى رُؤْيِي فِي
 صُورَةِ إِدْوَارِدْ هَايدَ . فَاسْرَعْتُ بِارْتِدَاءِ مَلَابِسِ ثَنَاسِيْنِي بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَأَنَا فِي
 حُجْجِي الْجَدِيدِ ، ثُمَّ سِرْتُ مُسْرِعًا دَاخِلَ الْكَبِيْتِ . وَكَانَ الْخَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ
 فِي ذَهْشَةٍ وَيَتَرَاجَعُونَ وَهُمْ يَرَوْنَ مُسْتَرَّ هَايدَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُبَكَّرَةِ وَفِي
 بِلَاقِ الْمَلَابِسِ الْغَرِيْبَةِ . وَبَعْدَ دَقَائِقَ عَشْرِ كَانَ دُكْتُورُ جِيكِلْ قَدْ رَجَعَ إِلَى
 شَكْلِهِ الْأَصْلِيِّ ، وَجَلَسَ مَهْمُومًا يُحَاوِلُ أَنْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْإِنْفِطَارِ .

لَمْ تَكُنْ لِي شَهِيَّةٌ لِلطَّعَامِ . إِنَّ هَذَا التَّحَوُّلَ الْغَرِيْبَ يَحْتَلِفُ كَثِيرًا عَمَّا كَانَ
 يَخْدُثُ لِي فِيمَا مَضَى . إِنَّهُ إِذْ ذَاكَ لِي بِأَنَّ الْعِقَابَ قَرِيبٌ . وَبَدَأْتُ أَفَكِّرُ بِصُورَةِ
 أَكْثَرِ جَدِيَّةٍ مِنْ ذِي قَبْلُ فِي النُّتَائِجِ الْمُحْتَمَلَةِ لِكَيْبَانِي الْمَزْدَوِجِ هَذَا . إِنَّ نِصْفِي
 الْكَثِيرَ قَدْ آزَدَادَ مِرَاتًا فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ ، وَآزَدَادَ ثَمَاءً ، وَبَدَأَ لِي كَمَا لَوْ أَنَّ
 جِسْمَ إِدْوَارِدْ هَايدَ قَدْ أَصْبَحَ أَكْبَرَ حَجْمًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتِي كُلَّمَا ارْتَدَيْتُ
 ذَلِكَ الْجِسْمَ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ قُوَّةً .

هَكَذَا بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِخَطَرٍ قَادِحٍ ، وَهُوَ أَنَّ التَّوَازْنَ الْقَائِمَ فِي طَبِيعَتِي
 الْمَزْدَوِجَةِ سَوْفَ يَحْتُلُ ، مِمَّا يَهْدُدُنِي بِأَنْ تُصْبِحَ شَخْصِيَّةُ إِدْوَارِدْ هَايدَ هِيَ
 شَخْصِيَّتِي الدَّائِمَةُ . وَلَمْ يَكُنْ مَفْعُولُ الدَّوَاءِ مُتَسَاوِيًا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، فَقَدْ
 حَدَثَ مَرَّةً أَنْ أَخْفَقَ مَفْعُولُهُ إِخْفَاقًا تَامًا ، مِمَّا دَفَعَنِي مَرَّةً إِلَى أَنْ أَضَاعِفَ

الْكَمِّيَّة ، بَلْ حَدَثَ مَرَّةً أَنْ تَنَاوَلْتُ ثَلَاثَةَ أَضْعَافِ الْكَمِّيَّةِ ، رَغِمَ أَنْ فِي ذَلِكَ مُخَاطَرَةٌ بِالْغَةِ بِحَيَاتِي .

مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَصْبَحَ هَذَا الْمَوْضُوعُ مَصْنَدَرُ هَمِّي وَقَلْقِي . وَقَدْ أَصْبَحَ شُغْلِي الْشَاغِلَ بَعْدَ حَادِثَةِ ذَلِكَ الصَّبَاحِ . إِنَّ وَضْعِي قَدْ تَغَيَّرَ ، فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ أُتَخَلَّصَ مِنْ جِسْمِ جِيكِيلِ وَالْبَسَ جِسْمَ هَايدَ — أَمَّا فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ فَقَدْ تَحَوَّلَ الْأَمْرُ تَدْرِيئًا إِلَى الْعَكْسِ . وَهَكَذَا بَدَأَ أَنْ كُلُّ شَيْءٍ يُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَأَعْنِي بِهَا أَنِّي قَدْ بَدَأْتُ أَفْقَدُ سَيْطَرَتِي عَلَى نِصْفِي الْأَصْلِيِّ الْخَيْرِ بِصُورَةٍ تَدْرِيئِيَّةٍ بَطِئَةٍ ، وَأَنِّي قَدْ بَدَأْتُ أَنْ دُمِجَ أَنْدِمَاجًا كَامِلًا مَعَ نِصْفِي الثَّانِي الشَّرِّيرِ .

شَعَرْتُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أُخْتَارَ بَيْنَ هَذَيْنِ التَّقْيِضَيْنِ . كَانَتْ طَبِيعَتَايَ تَشْتَرِكَانِ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى التَّذَكُّرِ — أَمَّا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْقُدْرَاتِ فَقَدْ كَانَ تَوَازُعُهَا عَلَى الطَّبِيعَتَيْنِ غَيْرَ مُتَسَاوٍ . لَقَدْ كَانَ جِيكِيلُ يُشَارِكُ هَايدَ فِي التَّمَتُّعِ بِمَسَرَّاتِهِ وَمُخَاطَرَاتِهِ ، أَمَّا هَايدَ فَلَمْ يُعْرِ جِيكِيلَ أَذْنِي أَهْتِمَامٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَذَكَّرُهُ إِلَّا كَمَا يَتَذَكَّرُ اللَّصُّ الْكَهْفُ الَّذِي يَخْتْفِي فِيهِ . فَلَوْ أَنَّنِي اخْتَرْتُ جِيكِيلَ لَكَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ أَفْقَدَ تِلْكَ الْمُتَمَتُّعَ الَّتِي طَالَمَا كُنْتُ أَهْفُو إِلَيْهَا وَأُذِعُنُ لَهَا سِرًّا ، وَأَلَّنِي بَدَأْتُ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ أَكْثُرَ مِنَ الْاسْتِمْتَاعِ بِهَا .

أَمَّا إِذَا اخْتَرْتُ هَايدَ فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ أَفْقَدَ الْقَعْدِيدَ مِنَ الْأَهْتِمَامَاتِ وَالْآمَالِ وَأَنْ أَصْبَحَ فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ وَإِلَى الْأَيْدِ شَخْصًا مُحْتَقَرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ صَدِيقٍ . رُبَّمَا يَدَّبُ الْمُعَادَلَةُ غَيْرَ مُتَسَاوِيَةٍ ، وَلَكِنْ كَانَ هُنَاكَ أَعْتِبَارٌ آخَرُ فِي التَّمْيِيزِ . فَبَيْنَمَا نَجِدُ أَنَّ جِيكِيلَ يُقَاسِي بِمَرَامَةٍ مِنْ أَجْلِ احْتِفَاطِهِ بِأَتْرَاقِهِ وَاحْتِرَامِ النَّاسِ

لَهُ ، نَجِدُ أَنْ هَايِدَ لَا يُدْرِكُ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا فَقَدَهُ مِنْ أَتْرَابٍ وَاحْتِرَامٍ . وَعَلَى
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ وَضْعِي كَانَ غَرِيْبًا فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ إِنَّ هَذَا الصَّبْرَاقَ قَدِيمٌ
وَطَبِيعِي ، وَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِظُهُورِ الْإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . وَقَدْ حَدَّثَ
بِالنَّسَبِ لِي مَا يَخْدُثُ بِالنَّسَبِ لِلْغَالِبِيَةِ الْعَظْمَى مِنْ رِفَاقِي ، وَهُوَ أَنَّنِي أَخْتَرْتُ
النَّصْفَ الْخَيْرَ ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ لِي الْقُدْرَةُ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ .

نَعَمْ ، لَقَدْ أَخْتَرْتُ أَنْ أَظَلَّ ذَلِكَ الطَّبِيبَ الْقَوْرَ السَّاحِطَ ، الَّذِي يُحِيطُ بِهِ
الْأَصْدِقَاءُ وَتَهْفُو نَفْسُهُ لِتَحْقِيقِ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَمَالِ الصَّادِقَةِ . وَوَدَّعْتُ بِعَزِيمَةٍ
قَوِيَّةٍ مَا كُنْتُ أُسْتَمْتِعُ بِهِ وَأَنَا فِي صُورَةِ هَايِدٍ مِنْ حُرِّيَّةٍ وَشَبَابٍ وَحَرَكَةٍ خَفِيفَةٍ
وِدِمَاءٍ فَائِرَةٍ وَمَسْرَابٍ خَفِيفَةٍ . مِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ أَخْتَارِي هَذَا لَمْ يَكُنْ كَامِلًا ،
إِذْ إِنَّنِي لَمْ أَتَخَلَّصْ مِنْ بَيْتِي الْمَوْجُودِ فِي حَيِّ سُوْهُو ، وَلَمْ أَتَلَفْ مَلَابِسَ
إِدْوَارِد هَايِد ، بَلْ تَرَكْتُهَا فِي غُرْفَةِ الْمَعْمَلِ وَكَأَنَّهَا عَلَى أَهْبَةِ الْأَسْتِعْدَادِ . وَمَعَ
ذَلِكَ فَقَدْ مَكَّنْتُ صَادِقَ الْعَزْمِ لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ كَامِلَيْنِ ، كُنْتُ خَلَا لِهَمَا أُعِيشُ
حَيَاةَ تَقَشُّفٍ لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ مَارَسْتُ مَثِيلًا لَهَا . وَكُنْتُ خِلَالِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ أُنْعَمُ
بِرَاحَةِ الضَّمِيرِ ، وَلَكِنْ مُرُورَ الْوَقْتِ بَدَأَ يُحْدِثُ أَثْرَهُ وَيُخَفِّفُ مَا عَانَيْتُ مِنْ
أَتْرِعَاجٍ ، وَبَدَأَ أَرْتِيحُ الضَّمِيرَ يُصْبِحُ أَمْرًا طَبِيعِيًّا ، ثُمَّ بَدَأَتْ الْآلَامُ وَالشَّهْوَاتُ
تُعَذِّبُنِي وَكَأَنَّمَا كَانَ هَايِدُ يُنَاضِلُ مِنْ أَجْلِ الْحُرِّيَّةِ . وَآخِرًا ، وَفِي سَاعَةٍ مِنْ
سَاعَاتِ الضَّعْفِ مَزَجْتُ الْعَقَّارَ وَشَرِبْتُهُ .

لَقَدْ ظَلَّ الشَّيْطَانُ حِينًا دَاخِلِي لِفَتْرَةِ طَوِيلَةٍ ، وَعِنْدَمَا أُطْلِقُ سَرَاحَهُ خَرَجَ
وَهُوَ يَزَارُ . لَقَدْ شَعَرْتُ بَعْدَ أَنْ شَرِبْتُ الْعَقَّارَ بِنَزْعَةٍ لِلشَّرِّ أَكْثَرَ عُنْفًا وَأَكْثَرَ

تَحَرُّرًا مِنْ ذِي قَبْلُ . رُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ التَّرْعَةُ هِيَ الَّتِي جَعَلْتَنِي أَضِيقُ صَدْرًا
بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْمَهْذِيَةِ الَّتِي كَانَ يَتَحَدَّثُ بِهَا سِير دَانِفِرَزْ كَارُو ، وَلَكِنْ
الْخُضُوعُ لِلْإِغْرَاءِ - مَهْمَا كَانَ طَفِيفًا - يَغْنِي السَّقُوطُ . وَعَلَى الْفُورِ
اسْتَيْقَظَ الشَّيْطَانُ دَاخِلِي وَنَارَ غَاظِبِي ، وَانْهَلَتْ عَلَى الرَّجُلِ ضَرْبًا بِعَصَاي دُونَ
أَنْ يَبْدِيَ إِلَهِي مُقَاوِمَةً ، وَكُنْتُ أُحِسُّ بِنَشْوَةِ إِبْلِيسِيَّةٍ . وَكَانَتْ كُلُّ ضَرْبَةٍ
أَكْبَلُهَا لَهُ تُبْعَثُ فِي نَفْسِي مَزِيدًا مِنَ الْهَجَةِ وَالسُّرُورِ . وَلَمْ أَتَوَقَّفْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
أَخَذَ التَّعَبُ مِنِّي كُلَّ مَاخِذٍ ، وَكَانَتْ سُورَةُ غَضَبِي قَدْ وَصَلَتْ آنَذَاكَ إِلَى
ذُرُونِهَا . وَعِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ بَعْدَ أَنْ أَذْرَكْتُ أَنَّ حَيَاتِي قَدْ أَصْبَحَتْ فِي
خَطَرٍ ، فَاسْرَعْتُ بِالْهَرَبِ مِنْ مَكَانِ الْحَادِثِ مُنْتَشِيًا وَمُرْتَعِدًا فِي آتٍ وَاحِدٍ .
لَقَدْ أَشْبَعْتُ شَهْوَتِي إِلَى الشَّرِّ وَزِدْتُ مِنْ سَعَارِهَا .

جَرَيْتُ مُسْرِعًا إِلَى بَيْتِي فِي سُوهُو ، وَقَمْتُ بِإِحْرَاقِ أَوْرَاقِي حَتَّى أَتَأَكَّدَ مِنْ
أَنْ أَحْدَا لَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيَّ ، ثُمَّ سِرْتُ إِلَى مَعْمَلِي مُخْتَرِقًا عَدَدًا مِنَ الشَّوَارِعِ
الْمُضَاعَةِ بِالْمَصَابِيحِ . وَعِنْدَمَا قَامَ هَايِدُ بِمَزْجِ الدَّوَاءِ كَانَ يُغْنِي مُبْتَهَجًا ، ثُمَّ
شَرِبَ الدَّوَاءَ وَكَأَنَّهُ يَشْرَبُ نَحْبَ الرَّجُلِ الَّذِي مَاتَ .

وَبِمَجْرَدِ أَنْ خَفَّتِ آلَآمُ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا فِي أَغْقَابِ شَرِيهِ الدَّوَاءِ كَانَ هِنْرِي
جِيكِيلَ رَاكِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَدُمُوعُ التَّنْدِيمِ تُنْسَابُ مِنْ عَيْنَيْهِ رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ
رَاجِيًا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ . وَكُنْتُ أَوْدُنُو أَنَّنِي صِحْتُ وَصَرَخْتُ وَحَاوَلْتُ بِالْأُذُنِ
وَالدُّعَاءِ أَنْ أُمَحِّوْا أَثَرَ تِلْكَ الْكُصُورِ وَالْأَصْنَوَافِ الْمُخْفِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ ذَاكِرَتِي
تُزَخِّرُ بِهَا . وَلَكِنْ أَلَسَرُ كَانَ يُطِلُّ بِوَجْهِهِ الْقَبِيحِ عَلَى نَفْسِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ،

وَسَرَّعَانَ مَا أَغْقَبَ هَذَا الْحُزْنَ شَعُورَ بِالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ لِأَنِّي شَعَرْتُ بِأَنَّ
مُشْكَلَتِي قَدْ حُلَّتْ ، وَأَنَّ ظُهُورَ هَايِدَ قَدْ أَصْبَحَ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا ، فَقُمْتُ
بِإِغْلَاقِ أَلْبَابِ الْخَلْفِيِّ الَّذِي كَانَ يَسْتَعِذُّهُ هَايِدَ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ
وَكَسَرْتُ مِفْتَاحَ أَلْبَابِ تَحْتَ قَدَمِي .

إِنْتَشَرَتِ الْأَبْهَاءُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَنَّ هُنَاكَ مَنْ رَأَى الْقَاتِلَ وَعَرَفَ النَّاسُ
أَجْمَعُهُمْ مَا أَقْتَرَفَتْ يَدَا هَايِدَ ، وَأَنَّ الْقَتِيلَ كَانَ شَخْصِيَّةً مَرْمُوقَةً يَتَمَتَّعُ بِتَقْدِيرِ
الرَّأْيِ الْعَامِّ . إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ جَرِيمةً فَحَسَبُ ، لَقَدْ كَانَتْ مَهْزَلَةً أَيْضًا . وَكَانَ مِمَّا
بَقِيَ السُّرُورُ فِي نَفْسِي أَنَّ جِيكَلَ قَدْ أَصْبَحَ الْآنَ مُلْجَأِي وَمَلَاذِي ؛ فَلَوْ أَنَّ
هَايِدَ أَطَّلَ بِرَأْسِهِ مِنْ مَكْمَلِهِ ، وَلَوْ لِلْحِظَةِ وَاحِدَةٍ ، لَأَمْتَدَّتْ أَيْدِي النَّاسِ
جَمِيعًا لِيُمْسِكُوا بِهِ وَتَقْتُلُوهُ .

يَهَذَا صَمَمْتُ أَنَّ يَكُونَ نَصْرِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَكْفِيرًا عَمَّا مَضَى ، وَيُمْكِنُنِي
أَنْ أَقُولَ بِكُلِّ صِدْقٍ إِنَّ تَصْمِيمِي هَذَا أَتَمَرُ بَعْضِ الْخَيْرِ . فَأَنْتَ تَعْرِفُ بِنَفْسِكَ
كَيْفَ أَنِّي كُنْتُ خِلَالِ الْأَشْهُرِ الْأَخِيرَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ أَبْذُلُ قُصَارَى جَهْدِي
لِإِخْفَافِ آلامِ النَّاسِ . وَأَنْبِي قَدَّمْتُ فِيهَا الْكَثِيرَ مِنَ الْخِدْمَاتِ لِلْمُحْتَاجِينَ ،
وَكَاتِبِ الْأَيَّامِ تُعَرِّ بِهَدْوٍ مِمَّا أَدْخَلَ السَّعَادَةَ فِي نَفْسِي ، وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقُولَ
إِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْخَيْرَةَ الْفَاضِلَةَ قَدْ جَعَلْتَنِي أَشْعُرُ بِالْمَلِيلِ ، فَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ غَيْرَ
ذَلِكَ ، إِذْ إِنَّنِي كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِهَا كُلَّ يَوْمٍ ، وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ كُنْتُ وَاقِعًا تَحْتَ
لَعْنَةِ نِصْفِي الْكَثِيرِ . وَلِهَذَا أَفْعِنْدَمَا خَفْتُ أَنَّ أَرْجُو بَدْءَ نِصْفِي هَذَا يَعُودُ طَالِبًا
الْحُرِّيَّةِ الَّتِي كَانَ قَدِ اعْتَادَهَا فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ . وَلَمْ يَكُنْ مَعْنَى هَذَا أَنِّي بَدَأْتُ

أَحْلُمُ بِإِعَادَةِ هَايِدٍ إِلَى الْحَيَاةِ لِأَنَّهُ مُجَرَّدُ التَّفَكِيرِ فِي هَذَا كَانَ يُفَرِّغُنِي كُلَّ الْفَرَجِ . لا ، لَمْ أَكُنْ أَفَكِّرُ فِي هَذَا أَبَدًا . بَلْ بَدَأْتُ أَسْأَلُكَ سُلُوكَ مَنْ يَقْتَرِفُ الذُّنُوبَ فِي السَّرِّ . وَهَكَذَا بَدَأْتُ أَذْعِنُ لِلْإِغْرَاءِ مِنْ جَدِيدٍ .

لَا بُدَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَصِلَ يَوْمًا إِلَى نِهَائِهِ ، وَمَهْمَا كَانَ الْإِنَاءُ كَبِيرًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَمْتَلِئَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . وَهَكَذَا فَإِنَّ هَذَا الْكَمِيلَ الْقَلِيلَ نَحْوَ الشَّرِّ قَدْ أُخِلَّ بِمَا كَانَ قَائِمًا مِنْ تَوَازُنٍ ، وَلِكَيْنِي لَمْ أَتَزَعَجْ إِذْ إِنَّ السَّقُوطَ لِلْهََاوِيَةِ كَانَ يَبْدُو أَمْرًا طَبِيعِيًّا . وَكَأَنَّمَا قَدْ رَجَعْتُ بِي الْأَيَّامُ إِلَى مَا مَضَى ، قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى أَكْثِشَافِي ذَلِكَ .

ذَاتَ يَوْمٍ صَحَوْتُ جَمِيلٌ كُنْتُ أَجْلِسُ عَلَى أَرِيكَةٍ فِي حَدِيقَةٍ عَامَّةٍ ، وَكَانَتْ زُهْرُ الْكُرْبِيجِ تُعَطِّرُ الْجَوَّ مِنْ حَوْلِي . وَكَانَتْ الْقَوَى الْحَيَوَانِيَّةُ الْمَوْجُودَةُ دَاخِلِي تَلْعَقُ بِقَايَا ذِكْرِيَايَ ، أَمَّا قَوَى الْخَيْرِ عِنْدِي فَكَانَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ الْأَسْبَابِ ، وَكَانَتْ تُحَنِّي النَّفْسَ بِالتَّوْبَةِ فِيمَا بَعْدَ دُونَ أَنْ تَبْدَأَ الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِهَا . فَكُنْتُ أَقُولُ لِنَفْسِي إِنَّ شَأْنِي فِي ذَلِكَ شَأْنُ جَمِيعِ النَّاسِ حَوْلِي

وَأُحَذِّثُ أَبْتَسِمُ وَأَنَا أَقَارِنُ نَفْسِي بِالْآخَرِينَ ، وَأَقَارِنُ نَيْتِي الطَّبِيعَةَ النَّشِيطَةَ بِقَسَوَاتِهِمْ وَأَسْتَخْفَاهُمْ ، وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي كَانَتْ تُرَاوِدُنِي فِيهَا تِلْكَ الْأَفْكَارُ الْكَلِمَةُ بِالتَّبَاهِي وَالْتِفَاحِ ، شَعَرْتُ بِغَيْثَانٍ شَدِيدٍ وَرَعَشَةٍ عَنِيفَةٍ مَا لَيْسَتْ أَنْ ذَهَبَتْ وَتَرَكْتَنِي وَاهِنًا ضَعِيفًا يَكَادُ يُغْشَى عَلَيَّ . ثُمَّ مَا لَيْسَتْ هَذَا الْوَهْنُ أَنْ زَالَ كَذَلِكَ ، وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بِحُدُوثِ تَغْيِيرٍ فِي طَبِيعَةِ أَفْكَارِي ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ جَسَارَةً ، وَأَكْثَرَ أَزْدِرَاءً بِالْمَخَاطِرِ ، وَتَحَرَّرًا مِنْ قُبُودِ

الواجب ، ثُمَّ وَقَعَ نَظْرِي عَلَى أَطْرَافِي فَوَجَدْتُهَا قَدْ صَغُرَتْ ، وَوَجَدْتُ
مَلَايِسِي قَدْ أَصْبَحَتْ فَضْفَاضَةً تَتَذَلَّى بِصُورَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ عَلَى هَذِهِ الْأَطْرَافِ
الصَّغِيرَةِ . وَكَانَتْ أَلِيذَ اللَّحْيِ عَلَى رُكْبَتِي نَائِتَةً الْعِظَامَ مُعْطَاةً بِالشَّعْرِ . لَقَدْ
أَصْبَحْتُ إِذْوَازِدَ هَايِدَ مَرَّةً أُخْرَى . إِنْنِي مُنْذُ لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ كُنْتُ أُحْظَى
بِاحْتِرَامِ النَّاسِ جَمِيعًا وَبِحُبِّهِمْ ، وَأَنْعَمُ بِالثَّرْوَةِ وَالْجَاهِ ، وَكَانَ خِدْمَتِي قَدْ
أَعْدُوا لِي أَلْمَائِدَةَ فِي غُرْفَةِ الْطَعَامِ بِمَنْزِلِي . أَمَّا الْآنَ فَإِنَّ الْبَشَرَ جَمِيعًا يُطَارِدُونَنِي
لَقَدْ أَصْبَحْتُ شَرِيرًا مُطَارَدًا ، يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّي قَاتِلٌ ، وَأَنْ مَصِيرِي هُوَ
حَبْلُ الْمِشْنَقَةِ .

لَقَدْ أَمْتَرْتُ فِكْرِي لِذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْتَنِي . وَكُنْتُ قَدْ لَاحَظْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تُفَكِّرِي - مِثْلًا فِي صُورَةِ هَايِدَ - أَكْثَرَ حِدَّةً ، وَأَنْ عَزِيمَتِي أَكْثَرُ مَضَاءً . إِنَّ
بِثَلِّ هَذَا الْمَوْقِفِ كَانَ مِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَدْفَعَ بِالْيَأْسِ إِلَى قَلْبِ جِيكِيل ، أَمَّا هَايِدَ
فَقَدْ هَبَّ لِمُؤَاجَهَتِهِ . وَكَانَتْ عَقَاقِيرِي فِي أَحَدِ أَذْرَاجِ الْكُؤُلَابِ بِغُرْفَتِي -
وَكَانَتْ مُشْكِلَتِي هِيَ كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَصِلَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذْتُ أَفْكَرُ مَلِيًّا لَكِنِّي
أَجِدُ حَلًّا لِتِلْكَ الْمُشْكِلَةِ . لَقَدْ أَغْلَقْتُ بَابَ الْمَعْمَلِ ، وَإِذَا حَاوَلْتُ أَنْ أُدْخِلُهُ
مِنْ الْكَبَيْتِ فَلَيْسَ مِنْ شَكِّ أَنْ خِدْمَتِي سَوْفَ يُلْقُونَ الْقَبْضَ عَلَيَّ ، وَيَقُومُونَ
بِتَسْلِيمِي لِمَصِيرِي الْمَحْتُومِ لِهَذَا رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَعِذَّ مِنْ شَخْصًا آخَرَ ، وَفَكَّرْتُ
فِي لَاثِيُونَ . وَلَكِنْ كَيْفَ أَصِلُ إِلَيْهِ وَكَيْفَ أَقْنِعُهُ ؟ لَتَفْرِضَ أُنْثَى تَمَكَّنْتُ مِنْ
تَفَادِي إِقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيَّ فِي الشُّوَارِعِ فَكَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقَابِلَهُ وَكَيْفَ يُمَكِّنُنِي
وَأَنَا الْزَائِرُ الْمَرْجِعُ الْمَجْهُولُ أَنْ أَقْنِعَ هَذَا الطَّبِيبَ الْمَشْهُورَ أَنْ يَقْتَرِحَ مَكْتَبَ
طَبِيبٍ آخَرَ ؟

عِنْدِيذْ تَذَكَّرْتُ أَنِّي مَازِلْتُ أُحْتَفِظُ بِإِخْدَى قُدْرَاتِي الْأَصْلِيَّةِ - إِنْ فِي
وُسْعِي أَنْ أَكْتُبَ الْخَطَّ نَفْسَهُ الَّذِي كُنْتُ أَكْتُبُ بِهِ مِنْ قَبْلُ . وَهَكَذَا اتَّصَحَّ
لِي الطَّرِيقُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ أَسْلُكُهُ .

لِهَذَا قُمْتُ بِتَنْسِيقِ مَلَابِسِي قَدَرِ إِمْكَانِي ، وَأَخَذْتُ عَرَبِيَّةً إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ
كُنْتُ أَذْكُرُ اسْمَهُ . وَعِنْدَمَا رَأَى سَائِقُ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْفِيَ آيَتِاسَمَتَهُ ،
وَلَكِنَّ هَذِهِ الْآيَتِاسَمَةَ مَا لَبِثْتُ أَنْ تَلَاَشْتُ مِنْ فَوْقِ شَفَتَيْهِ بَعْدَ أَنْ رَمَقْتُهُ بِنَظَرَةٍ
غَاضِبِيَّةٍ وَالشَّرُّ يَنْطَاطِرُ مِنْ عَيْنِي . وَكَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنْ آيَتِاسَمَتُهُ تِلْكَ قَدْ
تَلَاَشْتُ ، بَلْ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَيْضًا ، فَقَدْ كَذْتُ أَنْ أَجْذِبُهُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَالْقِي
بِهِ أَرْضًا .

عِنْدَمَا دَخَلْتُ الْفُنْدُقَ نَظَرْتُ حَوْلِي فِي غَضَبٍ مِمَّا جَعَلَ الْخَدَمَ يَرْتَعِدُونَ ،
وَلَمْ يَجْرَأُ أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَبَادَلَ نَظَرَةً وَاحِدَةً مَعَ زَمِيلِهِ ، بَلْ تَقَبَّلُوا
أَوَامِرِي بِأَدَبٍ بِالِخِ ، وَأَخَذُونِي إِلَى غُرْفَةٍ خَاصَّةٍ ، وَأَحْضَرُوا وَرَقًا وَقَلَمًا . إِنَّ
هَاجِدَ يُصْبِحُ مَخْلُوقًا آخَرَ غَرِيبًا عَلَيَّ عِنْدَمَا يُوَاجِهُ مَا يُهْدُدُ حَيَاتَهُ . إِنَّهُ يُصْبِحُ
مَخْلُوقًا يَنَالُ الْغَضَبُ جَوَانِحَهُ ، مُتَوَثِّرًا إِلَى دَرَجَةٍ تَجْعَلُهُ يَرْتَكِبُ جَرِيمَةَ الْقَتْلِ
دُونَ تَرَدُّدٍ ، لَهُ رَغْبَةٌ عَازِمَةٌ فِي إِبْلَامِ الْآخَرِينَ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ هَاجِدَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مُتَسِيمًا بِالذَّهَاءِ ، فَقَدْ تِمَكَّنَ مِنْ
أَنْ يَسْتَطِيعَ عَلَى سَوْرَةِ غَضَبِهِ بِإِذْلَاجٍ كَبِيرًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ . ثُمَّ قَامَ بِكِتَابَةِ
خِطَابَيْهِ الْهَيْهَاتَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا لِلْإِثْيُونِ وَالْآخَرُ لِلْيُولِ . وَلَكِنِّي يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّهُ قَدْ
تَمَّ إِسْبَالُهُمَا بِالْبَرِيدِ فِعْلًا ، طَلَبَ مِنَ الْخَادِمِ أَنْ يُرْسِلَهُمَا مُسَجَّلَيْنِ .

بَعْدَ أَنْ تَمَّ إِنْجَازُ ذَلِكَ قَبَعَ فِي غُرْفَتِهِ بِجَوَارِ الْكِدْفَةِ طَوَالَ أَيَّامٍ يَقْضِيهِ أَطَافِرُهُ فِي تَرْقُبٍ وَتَوَثُّرٍ . وَفِي غُرْفَتِهِ تَنَاوَلَ عَشَاءَهُ وَحِيدًا مَعَ مَخَافِهِ ، وَكَانَ أَخَذَهُمْ يَرْتَعِدُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُقَدِّمُ لَهُ الطَّعَامَ . وَعِنْدَمَا أَرَى الْكَلِيلُ سُدُولَهُ رَكِبَ عَرَبَةً مُقْفَلَةً وَأَنْزَوَى فِي رُكْنِهَا ، وَطَلَبَ مِنَ السَّائِقِ أَنْ يَمْضِيَ بِهِ جَنَّةً وَذَهَابًا فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ . إِنِّي أَشِيرُ إِلَيْهِ بِضَمِيرِ الْغَائِبِ ، وَلَا أَقُولُ أَنَا ، إِذْ إِنَّ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ الشَّيْطَانِيَّ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْكَصِفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ - لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَزِيحًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْكَرَاهِيَةِ . وَغِنْدَمَا أَحَسَّ فِي النَّهَايَةِ بِأَنَّ سَائِقَ الْعَرَبَةِ قَدْ بَدَأَ يَشْكُ فِيهِ أَوْقَفَهُ وَصَرَفَهُ ، وَسَارَ عَلَى قَدَمَيْهِ فِي مَلَابِسِهِ الْفَضْفَاضَةِ الَّتِي جَذَبَتْ أَنْبِيَاءَ الْآخَرِينَ ، وَكَانَ الْخَوْفُ وَالْكَرَاهِيَةُ يَمْلَأْنِيهِ وَيَتَوَرَّانِ فِي دَاخِلِهِ نُورَةً عَاصِفَةً . وَسَارَ مُسْرِعًا وَكَأَنَّمَا يَهْرُبُ مِنْ مَخَافِهِ ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ فِي نُورَةٍ ، وَيَخْتَبِي فِي الشَّوَارِعِ غَيْرِ الْمَطْرُوقَةِ ، وَيَحْسِبُ الْدَّقَائِقَ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ . وَحَدَّثَ أَنَّ كَلِمَتَهُ أَمْرًا عَارِضَةً عَلَيْهِ غَلَبَتْ بِقَابٍ . لَكِنَّهُ لَطَمَهَا عَلَى وَجْهِهَا فَأَسْرَعَتْ الْمَرْأَةُ بِالْفِرَارِ .

عِنْدَمَا عَادَتْ إِلَيَّ شَخْصِيَّتِي الْأُولَى فِي بَيْتٍ لَا يَتَوَلَّى تَأَثَّرَتْ بَعْضُ الْأَثَرِ لِمَا عَانَاهُ صَدِيقِي الْقَدِيمُ مِنْ فَرَجٍ . وَلَكِنْ مُعَانَايَةِ يَلِكْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مُجَرَّدَ قَطْرَةٍ فِي بَحْرِ الْكَرَاهِيَةِ وَالْمُعَانَاةِ الَّتِي كُنْتُ أُحْسُ بِهَا فِي تِلْكَ السَّاعَاتِ الْعَلَصِيَّةِ . وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بِأَنَّ تَعْمِيرًا قَدْ حَدَثَ . إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَتَعَذَّبُ خَوْفًا مِنْ يَدِ الْجَلَادِ ، وَلَكِنْ خَوْفًا مِنْ أَنْ أَصْبَحَ هَايِدَ . وَقَدْ اسْتَقْبَلْتُ اسْتِنكَارَ لَايُونِ وَكَأَنِّي فِي حُلْمٍ وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي وَإِلَى فِرَاشِي وَكَانَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُجَرَّدَ حُلْمٍ .

اسْتَعْرِفْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ لِلْغَايَةِ ، حَتَّى إِنَّ الْأَخْلَامَ الْمُزْعِجَةَ الَّتِي رَاوَدَتْني



في تلك الأليلة لم تَقْضِ مَضْجَعِي . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ فِي الصَّبَاحِ كُنْتُ مِنْهُوَكَأ
وَلَكِنْ مُطْمَئِنًّا . كُنْتُ مَا أَزَالُ أَكْزَرُهُ وَأَخَافُ ذَلِكَ الْوَحْشَ الْكَامِنَ فِيَّ ، وَلَمْ
أَسْ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ تِلْكَ الْأَخْطَارَ الْمُرْعِبَةَ الَّتِي مَرَّتْ بِي الْإِليَّةُ الْمَاضِيَةُ ، وَلَكِنِّي
الآنَ فِي بَيْتِي مَرَّةً أُخْرَى وَعَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ عَقَاقِيرِي ، وَشَكَرْتُ اللَّهَ عَلَى نَجَاتِي ،
وَعَادَ إِلَيَّ وَمِضُّ الْأَمَلِ .

ذَاتَ مَرَّةٍ كُنْتُ أَسِيرُ فِي الْفِنَاءِ . بَعْدَ الْإِفْطَارِ ، اسْتَمْتِعُ بِهَلْوَاءِ الصَّبَاحِ
الْبَارِدِ ، عِنْدَمَا أَتَابَتْنِي مَرَّةً أُخْرَى تِلْكَ الْمَشَاعِرُ الْغَامِضَةُ الَّتِي كَانَتْ تَسْبِقُ
تَحْوِيلِي إِلَى هَايِدَ . وَمَا إِنِ اسْتَرْعَتْ بِاللَّجْوَةِ إِلَى غُرْفَتِي حَتَّى كَانَ التَّحَوُّلُ قَدْ
تَمَّ ، وَبَدَأْتُ أَصْحَبُ وَأَثُورُ وَأَنَا فِي صُورَةِ هَايِدَ . وَفِي تِلْكَ الْكَمَرَةِ كَانَ عَلَيَّ
أَنْ أَضَاعِفَ كَمِّيَّةَ الْعَقَارِ لِأَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِرْجُوعِ إِلَى حَقِيقَتِي الْأَصْلِيَّةِ . وَلَكِنْ
لِسُوءِ الْحِظِّ عَادَتِ الْآلَامُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَقَطْ ، وَكُنْتُ آنَكَ
جَالِسًا بِجَوَارِ الْمِدْفَاةِ أَنْظُرُ إِلَى النَّارِ فِي خُزْنٍ وَنَعَاسَةٍ . وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ
الْإِرْجُوعِ إِلَى جِيكِيلَ إِلَّا نَتِيجَةً تَأْثِيرِ الْعَقَارِ الَّذِي تَنَاوَلْتُهُ عَلَى الْفَوْرِ . لَقَدْ كَانَتْ
تِلْكَ الْإِرْجَفَاتُ الْمُفَاجِئَةُ تَتَنَابَهِي فِي كُلِّ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ . وَأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ
أَنْنِي كُنْتُ إِذَا نِمْتُ لِلْحِظَّةِ وَاحِدَةٍ عَلَى مَقْعَدِي نَوْمًا خَفِيفًا فَإِنِّي كُنْتُ
اسْتَيْقِظُ دَائِمًا فِي صُورَةِ هَايِدَ . وَهَكَذَا كُنْتُ تَحْتَ سَيْفِ هَذَا الْقَدَرِ ،
وَحَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي بِأَنْ أَظَلَّ يَقْظًا دَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ مَخْلُوقًا تَنْهَشُهُ
الْمَخَافَةُ وَتَهْدُهُ الْكُحْمَى ؛ مَخْلُوقًا وَاهِنَ الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ لَا تَشْغَلُهُ إِلَّا فِكْرَةُ
وَاحِدَةٍ هِيَ خَوْفُهُ مِنْ نَصِيفِهِ الْآخِرِ . وَكُنْتُ إِذَا غَلَبَنِي الْتَوَمُ أَوْ خُفُّ أَثَرِ الْعَقَارِ
أَتَقَبَّلُ فِي قَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ سَرِيعَةٍ ، إِذْ إِنَّ آلَامَ التَّحَوُّلِ قَدْ قَلَّتْ بِمُرُورِ الْوَقْتِ

لِأَعْوَدَ تَحْتَ سَيْطَرَةِ خَيَالٍ زَاخِرٍ بِالصُّورِ الْمُفْرَعَةِ ، وَنَفْسٍ تُغْلِي حِقْدًا
وَغَضَبًا ، وَجَسْمٍ يَدُو وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَخْتَوِيَ كُلَّ
ذَلِكَ الْغَنَفِ الصَّاحِبِ .

لَيْسَ مِنَ الْمُجْدِي أَنْ أَقُولَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَالْوَقْتُ يَمْضِي سَرِيعًا وَهُوَ لَيْسَ
فِي مَصْلَحَتِي . وَيَكْفِينِي أَنْ أَقُولَ إِنَّ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ لَمْ يُقَاسِ مِثْلَ هَذَا
الْعَذَابِ . وَكَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَسْتَجِرَّ عِقَابِي هَذَا لِسِنِينَ عَدِيدَةٍ لَوْ لَمْ تَحْدُثْ
بِتِلْكَ الْكَارِثَةِ الَّتِي حَلَّتْ أَخِيرًا ، وَالَّتِي حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَجْهِ الْحَقِيقِيِّ
وَطَبِيعَتِي الْأَصْلِيَّةِ . لَقَدْ بَدَأَ رَصِيدِي مِنَ الْمِلْحِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ الْعَقَّارُ
يَنْضُبُ ، وَكُنْتُ لَمْ أَجِدْهُ مِنْذُ أَنْ بَدَأْتُ أَسْتَحْدِمُهُ . وَلِهَذَا أُرْسَلْتُ فِي طَلَبِ
كَمِيَّةٍ جَدِيدَةٍ ، ثُمَّ قُمْتُ بِمَزْجِ الْمِلْحِ الَّذِي حَصَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخَذْتُ فَفَاقِعَ
كَسَابِقِهِ ، وَتَغَيَّرَ اللَّوْنُ مَرَّةً وَاحِدَةً لَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ شَرِبْتُهُ ، وَلَكِنْ دُونَ أَنْ
يُحْدِثَ أَيَّ أَثَرٍ . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ مِنْ بُوُولِ كَيْفَ أَتَيْتُ طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ
يَتَحَثَّ عَنِ الْمِلْحِ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ لَنْدَنَ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى . وَأَنَا
مُقْتَنِعٌ الْآنَ أَنَّ الْكَمِيَّةَ الْأُولَى الَّتِي حَصَلْتُ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ نَقِيَّةً ، وَأَنَّ تِلْكَ
الْشَوَائِبَ الْمَجْهُولَةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُعْطِي الْمِلْحَ فَاعِلِيَّتُهُ .

لَقَدْ مَضَى حَوَالِي أُسْبُوعٍ وَلِأَيِّ أُخَيِّمُ الْآنَ هَذَا الْبَيَانَ تَحْتَ تَأْثِيرِ الْكَمِيَّةِ
الْأَخِيرَةِ مِنَ الْمَسْحُوقِ الْقَدِيمِ . وَلِهَذَا فَإِذَا لَمْ تَحْدُثْ مُعْجَزَةٌ فَسَتَكُونُ هَذِهِ
آخِرَ مَرَّةٍ يَتِمَكَّنُ فِيهَا هَنْرِي جِيكِلُ مِنَ الْتَفْكِيرِ بِعَقْلِهِ هُوَ ، وَمِنْ أَنْ يَرَى وَجْهَهُ
فِي الْمِرْآةِ (وَقَدْ تَغَيَّرَ الْآنَ بِصُورَةٍ مُخْزِنَةٍ) . وَمِنْ الضَّرُورِيِّ إِلَّا أَنَّا خَرَّ أَكْثَرَ

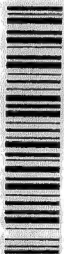
مِنْ ذَلِكَ فِي إِنْهَاءِ كَلِمَتِي هَذَا ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ قَدْ نَجَتْ مِنْ
 التَّمْزِيقِ فَإِنَّمَا يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى مُزِيجٍ مِنَ الْخُرُوصِ وَحُسْنِ الْحِظِّ . فَلَوْ حَدَّثَ
 وَأَتَانِي أَلَامُ التَّحْوِيلِ وَأَنَا أَقُومُ بِكِتَابَتِهَا فَسَوْفَ يَقُومُ هَايِدُ بِتَمْزِيقِهَا إِزْبًا
 إِزْبًا . وَلَكِنْ لَوْ مَرَّ بَعْضُ الْوَقْتِ عَلَى أَنْتِهَائِي مِنْ كِتَابَتِهَا فَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ
 تُنْجُو مِنْ حَقْدِهِ وَضَغِينَتِهِ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَصِيرَ الْمَحْتَوَمَ الَّذِي يَنْتَظِرُنَا نَحْنُ
 الْآثْنَيْنِ قَدْ غَيَّرَهُ وَسَحَقَهُ سَحَقًا . فَأَنَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَنْ هَايِدُ سَوْفَ يَجْلِسُ فِي
 مَقْعَدِي هَذَا بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ مِنَ الْآنَ مُرْتَعِدًا يَيْكِي وَيَنْتَجِبُ ، أَوْ يَمْشِي جَبِينًا
 وَذَهَابًا فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ (الَّتِي تُعْتَبَرُ مَلْجَأَهُ الْأَخِيرَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ) وَيَسْتَمِيعُ
 وَالْخَوْفُ يَمْلَأُ جَوَانِحَهُ إِلَى أَيِّ صَوْتٍ قَدْ يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ . هَلْ سَيَفْقِدُ هَايِدُ
 حَيَاتَهُ عَلَى حَبْلِ الْمِشْنَقَةِ ؟ أَمْ سَيَجِدُ الشَّجَاعَةَ الَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ فِي
 آخِرِ لَحْظَةٍ ؟ اللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ الْجَوَابَ . لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ بِشَيْءٍ ،
 فَهَذِهِ لَحْظَةٌ وَفَاتِي الْحَقِيقَةُ . أَمَّا مَا سَيُعْقِبُ ذَلِكَ فَهُوَ خَاصٌّ بِشَخْصٍ آخَرَ
 غَيْرِي . وَالْآنَ وَأَنَا أَضَعُ قَلَمِي وَأَهْمُ بِإِعْلَاقِ الظُّرْفِ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى
 أَعْتِرَافَاتِي فَإِنَّمَا أَنْهِيَ بِذَلِكَ حَيَاةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْبَائِسِ هُنْرِي جِيكِل .



الروايات المشهورة

- | | |
|----------------|--------------------------|
| ١- جين إير | ٤- دراكولا |
| ٢- فرانكنشتاين | ٥- لورنادون |
| ٣- مونفلست | ٦- دكتور جيكل ومستر هايد |

Library Alexandria



0426454

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم مرجع كميوتير 01 C 198 106